جهود الأطباء في الوقاية من العدوى ومكافحة الأوبئة في الأندلس منذ القرن السادس حتى نهاية الثامن الهجريين (الثاني عشر حتى الرابع عشر الميلاديين)

د. مها بنت مفرح مانع آل محمود

قسم التاريخ والحضارة – كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

جهود الأطباء في الوقاية من العدوى ومكافحة الأوبئة في الأندلس منذ القرن السادس حتى نهاية الثامن الهجريين (الثاني عشر حتى الرابع عشر الميلاديين)

د. مها بنت مفرح مانع آل محمود
قسم التاريخ والحضارة – كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٧/ ١/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ١٦/ ٤/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

كانت الأمراض والأوبئة من أهمّ التحدّيات التي واجهت الحضارات والأمم القديمة، كما كان لها، وما زال تأثير كبير ومؤثّر في الجوانب الديموغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقد ألقى هذا التأثير بظلاله على مهنة الطبّ وجهود الأطباء عامّةً، فكان لهم دورٌ مهمّ ما زال يحتاج إلى سبر غوره وبيانه للإفادة منه والاسترشاد به، فما الماضي إلا مرآة الحاضر.

ومن هذه الأزمنة حضارة المسلمين في الأندلس، التي تعدّ من أزهى العصور الإسلامية، وتتناول هذه الدراسة جهود أطباء الأندلس في الوقاية من العدوى ومكافحة الأوبئة في الأندلس خلال المدة من القرن السادس حتى نهاية الثامن الهجريين، (الثاني عشر حتى الرابع عشر الميلاديين).

الكلمات المفتاحية: الحضارة الإسلامية، الأندلس، الوقاية الصحية، أطباء الأندلس، الطاعون، ابن الخطيب، ابن خاتمة، غرناطة، المرية.

Doctors' efforts in preventing infection and fighting epidemics in Andalusia from the sixth century until the end of the eighth Hijri (Twelfth to fourteenth century CE)

Dr. Maha Mufreh Mani Al Mahmoud
Department History and Civilization – Faculty Social Sciences
Imam Muhammad bin Saud Islamic university

Abstract:

Diseases and epidemics were among the most important challenges facing ancient civilizations and nations; they had, and still have, a major and influential role in various demographic, political, social and economic aspects. This influence cast a shadow over the medical profession and the efforts of doctors in general. In these difficult times, they had an important role that still needs to be explored and explained to benefit from it and be guided by it. The past is nothing but the mirror of the present. This study discusses the concept of preclinical medicine for the doctors of Andalusia; during the period from the sixth Hijri century until the end of the eighth Hijri century in that particular era (Twelfth to fourteenth century CE).

key words: Islamic civilization, Andalusia, health prevention, Andalusian doctors, the plague, Ibn al-Khatib, Ibn Khatima, Granada, Almeria.

المقدمــة:

تعرّضت بلاد الأندلس لكثيرٍ من الأزمات والأحداث العصيبة عسكريًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، وتمكّنت من خلال حكوماتها الإسلامية من التصدّي لهذه التحديات ومقاومتها والتعامل معها ما أمكن، غيرَ أنَّ أشدَّ هذه التحديات تأثيرًا وفتكًا كانت تلك الجوائح التي تتفشّى فيها الأمراض والأوبئة، مخلّفةً كثيرًا من الخسائر في الأموال والأرواح، وتتطلّب بذل جهود طبّية مكثّفة لتقصّي أسباب هذه الأمراض وسبل الوقاية منها، إضافةً إلى إيجاد الدواء الشافي، أو التقليل والحدِّ من آثارها.

وفي فترة الدراسة سجّلت لنا المصادر أن الأمراضَ والأوبئةَ اجتاحت الأندلسَ خلال عصر الدولة المرابطية (٤٨٤-٥٤٠هـ/ ١٠٩١-١١٤٥م)، مرورًا بالدولة الموحّدية(٥٤٠-٦٢٠هـ/ ١١٤٥-١٢٢٣م)، وصولًا إلى المعقل الإسلامي الأوحد والأخير في الأندلس، دولة بني الأحمر (٦٣٥ – ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨ - ١٤٩٢م)[(١)].

(١) ابن الخطيب، محمد بن عبد الله التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ج٢، ص٢٢٣، ٢٣٨، ٢٥٥- ٢٥٧؛ المقّري، أحمد محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: مريم طويل ويوسف طويل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ج٦، ص١٢٧-١٤٤، ١٤٦-١٥٢، ٢٦٦- ٢٦٧.

وبرزت خلال هذه الأزمات جهود أطباء الأندلس وغايتهم وهدفهم الأسمى، ليس فقط تخفيف الألم والمعاناة عن المرضى، بل كان يسبق ذلك الاهتمام بالأصحّاء وكيفية وقايتهم من الأمراض والأوبئة، وقد ظهرت هذه الجهود في صور متنوّعة، من خلالِ تصنيف عدد من المؤلفات والرسائل سنعرض لها بالتفصيل وماجاء فيها خلال هذه الدراسة وقد تضمّنت تشخيص المرض ووصفه، إضافةً إلى الوصايا الطبية الوقائية لتجنّبه، وفي الوقت ذاته لعلاجه حال وقوعه، كما اشتملت هذه المؤلفات الطبيّة على بعض الإلماحات المهمّة التي تتعلّق بكثير من الضوابط والإجراءات الدينية والإدارية في حال وقوع هذه الجوائح، وكذلك بعض الضوابط الخاصة بالبيئة والعمران، وهي في معظمها تندرج تحت سبل الوقاية من المرض والوباء.

وفي هذه الدراسة تتناول الباحثة هذه الجهود العلمية والطبية والوقائية، التي قدّمها أطباء ذلك العصر للنهوض بالمجالات الطبية، إلى جانب أدوارهم الطبية والاجتماعية، التي بذلوها في سبيل خدمة مجتمعهم، والنأي به عن الأمراض قبل حدوثها.

المبحث الأول: مفهوم الطبّ الوقائيّ وجهود العلماء في التأليف:

الوقاية في اللغة من وقى، ووقيته أَقِيهِ وقيًا، من دفع شيء عن شيء بغيره، والوقاية ما يقي الشيء[١].

ويعرّف الطبُّ الوقائيُّ بأنه علم يتعلّق بالمحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته، من خلال وقايته من الأمراض قبل وقوعها ومنع انتشار الأمراض إذا وقعت، والحفاظ على صحّته بتحسين ظروف معيشته، وظروف بيئته الصحية؛ لمنع وقوع الحوادث وأسباب العوارض النفسية[٢].

والطبّ الوقائيّ فرع من العلوم الطبية، وهو من العلوم التي برع فيها المسلمون، وكان لأطباء الأندلس قدم سبق فيها وريادة، حيث عرف لديهم بـ(حفظ الصحّة)، وهو جزء لا ينفصل عن علم الطبّ، فيقول عنه ابن رشد حين عرّف صناعة الطب:"صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة، يلتمس بها حفظ صحة بدن الإنسان وإبطال المرض"[٣].

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)، مجمل اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ج٦، ص١٦١.

(٢) الفنجري، أحمد، الطب الوقائي في الإسلام (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص٧.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٩٥هـ/١١٩٩م)، الكليات في الطب، تحقيق: محمد الجابري (الرياض: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ص١٢٧.

كما حدّد ابن خلصون غاية الصناعة الطبية، فقال:"إن علم الطب وضع لغايتين: لحفظ صحة الإنسان، ولزوال أمراضه"(١)، وقال الغافقي:"صناعة الطبّ تقوم على حفظ الصحة على الأصحّاء إذا كانت موجودة، وردّها عليهم إذا كانت مفقودة، وإمساك الموجود أسهل من ردّ المفقود"(٢).

هذه التعريفات وغيرها ما هي إلا انعكاس لتطوّر ذلك المجتمع المدني وتفوّقه. وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء المشرق الذين تبنوا هذا التوجّه الوقائيّ؛ فقد قسم شيخ الأطباء ابن سيناء صناعة الطبّ، فقال: إنها تنقسم إلى قسمين: نظري، وعملي، والعملي منه أيضًا ينقسم لقسمين: الأول منهما قال فيه: "علم تدبير الأبدان الصحيحة أنه كيف يحفظ عليها صحتها، وذلك يسمى علم حفظ الصحة"(٣). ويذكر ابن أبي أصيبعة الطبيب المؤرخ أن دوام الصحة وقوة البنية يكون بالصناعة الطبية: "لأنها حافظة للصحة الموجودة، ورادّة للصحة المفقودة"(٤).

---

(١) أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ق٦هـ/١٢م)، كتاب الأغذية، تحقيق: سوزان جيغاندي (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ص١١.

(٢) ابن قسوم، محمد بن قسوم بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)، المرشد في طب العين، تحقيق: حسن علي (بيروت: معهد الإنماء العربي، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص٥٢.

(٣) القانون في الطب، تحقيق: محمد الضناوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ج١، ص٢٠٠.

(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت) ص٧.

وقد صنّف علماء الأندلس منذ القرن السادس عددًا من المصنّفات التي أولت موضوع الطب الوقائي "حفظ الصحة" اهتمامًا وعنايةً، وهم بذلك يعتبِرون هذا الفرع على رأس العلوم الطبية. ومنها: ورسالة أبي الوليد ابن رشد (حفظ الصحة)[1]، وأيضًا لأبي جعفر أحمد بن حسان (ت ق٦هـ/١٢م) كتاب (تدبير الصحة)[2]، وكذلك لأبي عبد الله محمد بن خلصون كتاب

(١) "رسالة حفظ الصحة"، وهي رسالة دونها كما يقول ابن رشد لأحد إخوانه وتتضمن معلومات هامة تتعلق بكيفية حفظ الصحة من خلال الطعام، واستفراغ الجسم من السموم، وهي تتضمن الممارسات العلاجية المتعلقة بذلك، وهذا المؤلف يقع ضمن مجموع خاص برسائل ابن رشد الطبية، تحقيق: جورج شحاتة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٤٢٥-٤٣٠.

(٢) كتاب "تدبير الصحة"، ألفه ابن حسان الغرناطي للخليفة الموحدي يعقوب المنصور (٥٥٤-٥٩٥هـ=١١٦٠-١١٩٩م)، وهو من الكتب المفقودة.. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٥٣٥؛ زينل، نهاد، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوربا – القرون الوسطى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٢٤٤.

(الأغذية وحفظ الصحة)[١]، إضافة إلى مؤلف ابن الخطيب (الوصول لحفظ الصحة في الفصول)[٢].

كما أن هناك من أطبّاء الأندلس من أفرد لهذا الفرع بابًا خاصًّا في ثنايا كتاباته الطبية، كما فعل ابن رشد في كتابه (الكلّيّات)[٣] حيث ضمن مؤلفه أبوابا سماها كتبًا وخصص جزءاً منها للصحة وسبل حفظها منها: "كتاب

(١) "الأغذية وحفظ الصحة" ألف ابن خلصون كتابه هذا نزولا عند طلب أحد المقربين له ويتضمن خمس مقالات هي مدخل للعلم الطبيعي، وحفظ أعضاء البدن، وحفظ الصحة على الإطلاق، وتدبير فصول السنة وضروب الأدوية قواها وإصلاحها، حققت الكتاب وترجمته الفرنسية سوزان جيغاندي؛ وصدر عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق سنة ١٩٩٦، ص١١؛ زينل، نهاد، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص٢٤٨.

(٢) "الوصول لحفظ الصحة في الفصول"، وهي رسالة في الوقاية من الأمراض بحسب فصول السنة، وهذه الرسالة أهداها ابن الخطيب إلى سلطان مملكة غرناطة الغني بالله محمد الخامس(٧٥٥-٧٩٣هـ/١٣٥٤-١٣٩١م) وقد قام بتحقيقه ونشره محمد العربي، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٧م، ص١٢٥؛ زينل، نهاد، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص٢٤٦.

(٣) يعدّ كتاب "الكليات" من أشهر الكتب الطبية التي راجت وتداولها الناس في الأندلس وخلال العصور الوسطى، لما حواه من معلومات طبية شاملة موجزة تتناول وظائف الأعضاء وتشريحها، والأمراض وأعراضها، والأدوية والأغذية، وحفظ الصحة والعلاج، فكان موسوعة طبية يستفيد منها المتخصص وغيره، كما ظل يدرّس في الجامعات الأوربية طوال فترة العصور الوسطى، وقد ترجم للغة العبرية، ثم إلى اللاتينية باسم (Gollget) عام ١٢٥٥م، في بدوا، ومن ثم طبع في مدينة البندقية. زينل، نهاد، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس؛ بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس (القاهرة: دار الثقافة الدينية، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ص٥٢٦.

الصحة" وفيه معنى الصحة ومايأخذه الطب من العلم الطبيعي، ومنافع الأعضاء، والفصول الأربعة وتأثيرها على الصحة، وكذلك "كتاب الأدوية والأغذية" وفيه الأدوية والأغذية وأنواعها وقواها وتأثيراتها النافعة والضارة، و"باب حفظ الصحة" وفيه الأمور التي تدخل الفساد على البدن والممارسات الطبيعية التي تساعد على الحفاظ عليه كالرياضة والاستفراغ والدلك والنوم والاستحمام وغيرها(١)، وأيضًا الطبيب الشقوريّ في مؤلفه (النصيحة)، الذي تناول سبل الوقاية وطرق حفظ الصحة زمن الأوبئة والآفات(٢)، وكذلك كتابه (تحفة المتوسّل وراحة المتأمّل)، الذي خصَّص القسم الثالث لتناول موضوع حفظ الصحة، وخصَّ به كبار السن والعجايز(٣). كما ظلّ موضوع حفظ الصحة يتردَّد في طيّات مؤلفات ابن زهر (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م)، وفق

(١) تحقيق: محمد الجابري (الرياض: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ص٦-٨، ٤٦٧.

(٢) "النصيحة" وهو من المؤلفات الطبية التي ألفت في الوباء الجارف الذي تعرضت له الأندلس سنة٧٥٠هـ/١٣٤٨م.. حققه محمد حسن ضمن مؤلفه ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف (تونس: مطبعة الشرق، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ص ٢٥٠-٢٥٥.

(٣) "تحفة المتوسل وراحة المتأمل" هذا المؤلف ضمنه الطبيب الشقوري ثلاثة أجزاء في المعدة، في المرض الإسهالي وانفتاح أفواه العروق، والثالث في تدبير الشيوخ، وهو من المؤلفات المخطوطة حيث نسخ في ٢٤ شعبان سنة ١١٥٨هـ، مخطوطة الخزانة الحسينية (القصر الملكي بالرباط) برقم (٢٣٣٧)..الشقوري، محمد علي اللخمي (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) النصيحة، تحقيق: محمد حسن (تونس: مطبعة الشرق، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ص٢٥٠، ٢٥٥؛ زينل، نهاد، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص٢٥١.

ما ورد في موضوعات كتابيه (التيسير في المداواة والتدبير)[1]، و(الأغذية)[2].ومن ذلك تظهر أهمّيّة تلك المدة الزمنية ومدى استيعاب علمائها لأهمية هذا الفرع من فروع الطبّ، بما قدّموه من خدمات جليلة فيه شملت التأليف والوصايا القائمة على الممارسة والتجريب.

(١) " التيسير في المداواة والتدبير" وهذا المؤلف من أعظم الموسوعات والمراجع الطبية في العصور الوسطى، والذي حوى العديد من صنوف المعرفة في الطب وخلاصة تجاربه الميدانية حيث يذكر في هذا الكتاب جميع الأمراض التي عرفها، وطرق علاجها من قمة الرأس حتى أخمص القدمين، وحققه أحمد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)؛ السرو: محمد، النظر والتجريب في الطب الأندلسي بين ابن رشد وابن زهر (الرباط: دار الأمان، ط٢، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦م) ص ١٧٥- ١٧٦.

(٢) "كتاب الأغذية" من المؤلفات الطبية والتي عنى فيها ابن زهر ببيان الأغذية المختلفة وقواها وخواص الانتفاع بها، حققه محمد أمين الضناوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

المبحث الثاني: الوقاية وحفظ الصحة في ضوء الشريعة الإسلامية:

دخل الإسلام إلى الأندلس، وأدخل المسلمون معهم قيمَ الشريعة الإسلامية السمحاء ومفاهيمَها، التي تحثّ على توفير بيئة صحية مثالية، ونظام اجتماعي ملتزم بالأوامر والتدابير الصحية، فبلغت الحضارة الإسلامية فيه مستوًى متقدّمًا ومتطوّرًا قلّ نظيره في زمانه؛ فلم يحدث أن اهتمَّ أي دين أو نظام مجتمعي بأن جعل هذه القواعد الطبية جزءًا من تكوينه ومن تعاليمه، كما فعل الدّين الإسلامي.

وأولت الشريعة الإسلامية الجوانب الصحية الوقائية عنايتها من خلال فرض عدّة تدابير وتشريعات، هدفها الحفاظ على البيئة والإنسان المكوّن الأساسيّ لهذا النظام البيئي، وقد برز ذلك من خلال النصوص والتشريعات الإسلامية التي أكّدت التدابير الوقائية، وجعلتها تسبق في كثيرٍ من الأحيان الممارسات الطبية، فالإسلام يعدُّ أول نظام عقائديّ وعلميّ في الإنسانية يأمر بالتعقيم ويحارب التلوّث، من خلال استخدام كلمة "الطهارة" المرادفة لكلمة "التعقيم"، ويعني بها خلوّ الجسم من الميكروبات، كما أنه في تعاليمه يطلق على الجسم الملوّث "الميكروب" مصطلح "النجاسة"، وجاء ذلك من خلال عدّة آيات وأحاديث تحثّ على النظافة والطهارة الشخصية، فقد أوجب الله الطهارة كضرورة عبادية تستوجب الطاعة، وفي الوقت ذاته لإزالة النجاسات التي قد تعلق بالبدن، مثل المنيّ والبول والغائط والدم، فقد اشترط

لإزالة هذه الميكروبات الغسيل بالماء والتطهُّر حتى يزول شكل هذه النجاسة وجِرمها ورائحتها ولونها[١]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[٢]. كما كانت العناية بنظافة الدور والمساكن والطرقات من القضايا الجوهرية التي حثَّ عليها الإسلام، فأوصى النبي ﷺ بالحرص على نظافة مساكن العيش، لما يترتّب على ذلك من فوائد صحية وعبادية، أبرزها مخالفة اليهود الذين عرفوا بالنجاسة والإهمال، فقال ﷺ: "نظّفوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشبّهوا باليهود يجمعون الأكباء في دورهم"[٣]، وقال معاذ رضي الله عنه: "اتقّوا الملاعِن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظلّ"[٤]. وقد تجلّت عناية الإسلام الوقائية أيضًا في مجال الأغذية من خلال نصوص التحريم لكل ما هو ضارّ يوهن القوةَ ويضعف الجسم ويذهب بالصحة من

(١) الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ١٧، ١٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٣.

(٣) البزار، أحمد بن عمرو العتكي (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م)، البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م) ج٣، ص٣٢٠، الحديث ١١١٤.

(٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ج١، ص٥٥.

الأطعمة والأشربة المحرمة. قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

كما حثَّ الإسلام على تحقيق الحاجات الجسدية والنفسية النافعة، الرامية إلى الحفاظ على سلامة البدن ووقايته من الآفات الجنسية، فقد كان الرسول ﷺ يوصي الشباب بالزواج المبكر لما فيه من الحصانة والإعفاف، فقال ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج"(٢).

كما اعتنى التشريع الإسلامي بتوظيف طاقة الإنسان وجهوده البدنية فيما يعود عليه بالنفع والقوة، وتعزيز صحته ومناعته، عن طريق تحقيق المفهوم العبادي القائم على أداء العبادات وبذل الجهد لتحصيل الرزق وتدبير العيش. وفي ذلك قال ﷺ: "ما أكل أحد طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده"(٣).ومن خلال هذه التشريعات يتّضح أن الإسلام أول نظام وضع دستور وإجراءات (بروتوكول) ما يعرف بالتدابير الوقائية للحفاظ على صحة البيئة والفرد والمجتمع، وهو ما يعرف في عصرنا الحديث بـ"الطب الوقائي"،

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٤.

(٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، الجامع الصحيح، تحقيق: نظر محمد الفاريابي (بيروت: دار قرطبة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) ج٢، ص١٤٨٣، الحديث ٥٠٦٥.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، ج١، ص٥٥٥، الحديث ٢٠٧٢.

الذي استهدفت أحكامه وتشريعاته وقاية الفرد والمجتمع من الأمراض العضوية والنفسية والاجتماعية.

المبحث الثالث: التمييز بين الطبّ الوقائيّ والطبّ العلاجيّ:

جاء في مقولة الحكماء: "الوقاية خير من العلاج"، وفي ضوء التشريعات والأحكام الإسلامية اعتنى أطباء الأندلس بهذا الفرع من العلوم الطبية، في وقت كانت الحاجة ملحّةً وماسّةً مع انتشار كثير من الأمراض والأوبئة التي لم تكن العلوم الطبية قد توصّلت لأدوية ناجعة وشافية لها. فميّزوه عن الطبّ العلاجي الذي يكون عند وقوع المرض وبعده.

وانبرى أطبّاء الأندلس، إلى جانب ما ذكر سابقًا من تأليف الكتب التي تهتمّ بعلم الطبّ الوقائيّ "حفظ الصحة"، لتوضيح الفرق بين الطبّ الوقائي والطبّ العلاجي في تلك المؤلفات، حين عرّفوا الصناعة الطبية، فاستحضروا غاية الطبّين الوقائي والعلاجي وأهميتهما أيضًا. ومن ذلك ما جاء عند ابن خلدون حينما عرَّف الطب، فقال: "صناعة تنظر في بدن الإنسان، من حيث يمرض ويصحّ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبيّن المرض الذي يخصّ كلَّ عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذِنة

بنضجه وقبوله الدواء أوّلًا في السجيّة والفضلات والنبض"[١]. كما قال في ذلك ابن رشد: "صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة، يلتمس بها حفظ صحة بدن الإنسان، وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد من الأبدان، فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرئ ولا بد، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب في الوقت الذي يجب، ثم ينتظر حصول غايتها"[٢]. كما حدّد ابن خلصون غاية الصناعة الطبية، فقال: "إن علم الطب وضع لغايتين: لحفظ صحة الإنسان، ولزوال أمراضه"[٣]. ومن ذلك يمكن التمييز بين الطبّ الوقائيّ والعلاجيّ وفق ما يلي:

أولاً: الغايـة الطبيـة: فغاية الطبّ الوقائي هي الإبقاء على صحة الفرد في أحسن حال، والبعد والنأي به عن كل ما قد يجلب له المرض، إضافة إلى محاولة السيطرة على المرض وعدم تفاقمه، إن تعرّض لأسباب حدوثه ودواعيه أمّا الطبّ العلاجيّ فيهتمّ خاصّةً بمعالجة المرض بالأدوية والعلاجات المناسبة عند وقوعه، ومن ثمَّ السيطرة عليه قدر الإمكان والتخلّص منه، وهذا العلاج يكون بعد الكشف والتشخيص لحالة المريض، إذ يتلقّى فيه المريض الرعاية، حتى يزول الألم وجميع أعراضه ومسبّباته، والوصول به إلى مرحلة الاستقرار

(١) عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون (بيروت: منشورات الأعلمي للمطبوعات، (د.ت)، ج١، ص٤٩٣.

(٢) الكليات، ص١٢٧.

(٣) كتاب الأغذية، ص١١.

والشفاء، فعلاقة الطبّ الوقائيّ بالعلاجي علاقة ارتباط، فالوقاية جزء من العلاج، ومقدّمة له، وبدون الوقاية لا يمكن حماية الإنسان ومدافعة الأمراض عنه(١).

ثانيًا: طرائق التطبيق والممارسة:

يمكن التمييز بين الطبّ الوقائيّ والعلاجيّ من حيث طرائق التطبيق؛ فلأن غاية الطبّ الوقائيّ هي رفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات، فقد سعى أطباء الأندلس إلى نشر ثقافة الوقاية الصحية لدى عموم المجتمع الأندلسي، من خلال عدّة توجيهات ووصايا سهلة وميسّرة يمكن لأفراد المجتمع الأخذ بها وإتقانها، وقد ضمّن الأطباء هذه الطرق والإجراءات في مؤلفاتهم، وصرّحوا أن الهدف من تدوينها أن يستوعبها العوامّ قبل الخواصّ، وتكون عونًا للصحيح والمريض؛ ليتدبّر بها حاله، فيدفع المرض بالوقاية، أو يبرأ منه بالعلاج قبل تمكّنه منه(٢). من ذلك أنَّ الطبيب ابن زهر يقول في كتابه (التيسير في المداواة والتدبير) أنّه قد ألّفه على طريقة الكناشي(٣)، وضمّنه كثيرًا من التوجيهات والتدابير الوقائية، ليستوعبه العامة، ويستفيدوا

(١) ابن رشد: الكليات، ص١٢٧، ١٢٨، ٢١٧، ٢٨٣، ٤٩٧، ٥٨٤.

(٢) ابن خلصون: كتاب الأغذية، ص١١-١٢.

(٣) الكناشي: مفردها كُنّاش أو كُنّاشة (بضم الكاف وتشديد النون)، وهي الكتاب الذي يضمّ مجموعة المذكرات أو الفوائد. ابن زهر، التيسير، ص٩.

منه، بحيث مزج بين العلاج والعلامات، وأعطى الأسباب أيضًا، فلا يخفى حينها على المريض ومن حوله كيفية تدبير حاله واستعادة صحته[١].

إضافة إلى ذلك جاء مؤلفه (كتاب الأغذية) مشتملًا على معلومات مهمّة عن الأغذية وخواصها وسبل الانتفاع بها، وجعله بلغة سهلة مبسّطة يفهمها أهل الصناعة وغيرهم. كما أنه اختصَّ بمؤلفه (الاقتصاد في إصلاح الأجسام) الأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف[٢]، ولخّص فيه خلاصة تجاربه الطبية، وسبل حفظ الصحة ووقايتها مما قد يخرجها عن مزاجها الطبيعي[٣]. كما يذكر ابن خلصون أيضًا في مقدمة كتابه (الأغذية) أن الجزء الأول منه يحوي كثيرًا من التدابير الخاصة بالإنسان والبيئة، وكيفية الحفاظ عليهما، وقد

---

(١) ص٩، ١٠.

(٢) إبراهيم بن يوسف بن تاشفين يعرف بابن تعيشت نسبة لاسم أمه، ولي مرسية ومن ثم شرق الأندلس لأخيه علي بن يوسف كان من كبار قادة المرابطين العسكريين له وقائع ضد مملكة برشلونة، من أشهرها تلك التي وقعت على ضفاف سواحل برشلونة وانكسر فيها الجيش المرابطي كسرة شديدة وذلك سنة٥٠٨هـ/١١١٥م، وبعد عامين من هذه الهزيمة توفي القائد المرابطي إبراهيم بن تاشفين.. ابن الأبار: محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ) المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ص٥٤-٥٥؛ مؤنس: حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص٢٥، ٢٦.

(٣) ابن زهر، ص٧؛ ابن الأبّار، محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: جلال الأسيوطي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ج٢، ص١٢، ١٣؛ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٥٢٠-٥٢١.

أسماه (حفظ الصحة)، ليستغني من يقرأه عن الطبيب، وبه يتمكّن من وقاية صحته وحفظها على أحسن حال[١].

كما بين ابن الخطيب في كتابة الموسوم بـ(الوصول لحفظ الصحة في الفصول) والذي تناول فيه موضوع حفظ الصحة أن الغاية من مؤلفه هذا هو نشر الثقافة الوقائية الصحية بين عموم المجتمع الأندلسي، لأنه يراها هي خط الدفاع الأول عن الأمراض، وهي الأحقّ بالكتابة والتأليف لأهميتها، لذلك حرص على ذكر كثير من التدابير والإجراءات الصحية بلغة مبسطة يفهمها الخاصة والعامة والحاضرة والبادية ينتفع منه كل أحد فيقول: "حفظ الصحة أولى بالعناية وأحق بالإفصاح والكناية، إذ لو حفظ منها الغرض، ووفي المفترض لقلَّ أن يروع سربها المرض، فظهر لي أن أعتني بما غفل وأهمل، فما اعتبر ولا تؤمل، وأن أقصد وأجمل، وأتم وأكمل...، أتحرى أن يكون طوع يد الشادي والقاصر، ومحسب البادي والحاضر...، فرتبته ترتيبًا سهل المسالك على السالك، قريب المأخذ على الناظر فيه والآخذ، يمتع بعجائب الطبائع وأسرارها، ويلمع بقوى الأسباب القاضية وآثارها، ويرتب حفظ الصحة بحسب الفصول والأزمان، ويشيد بحكمة الرحمن، ويقرّر على تعاقبها سياسة الأبدان، وينصح نصح الحبيب، ويغني عن ملازمة الطبيب، ويحضر عند نصب الموائد، ويجيب إذا سئل عن العوائد، ويصلح ضرر المفاسد، مستوعبًا

(١) كتاب الأغذية، ص١١، ١٢.

من أسرار الطبائع المسخرة بإذن الله ...، فجاء جامعًا للأسفار، مثيرا للاعتبار"[١].

كما يذكر ابن خاتمة في سبب تأليفه لكتابه (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد)، الذي ألّفه حينما دهم الطاعون الجارف الأندلس: "تعيّن علينا لذلك أن نرسم كيف يكون تحفظ الأنسان في جميع أموره من هذا الحادث، مهما ألمَّ بجهته، حتى يبعد عن الاستعداد له بقدر وسعه، وذلك على ما أعطته التجربة، وشهد له الاعتبار بطول المدة التي استمرَّ فيها هذا الحادث بألمرية[٢]، عصمها الله تعالى، فظاهر الحال أنه لم يجرِ له في المدوّنات تسطير مثال"[٣].

أما الطب العلاجي فلا يمارسه إلا الأطباء المتخصصون والمؤهلون في الصناعة الطبية، حيث شدد الأطباء على أن الطبيب يجب أن يكون خبيرًا

---

(١) ج١، ص١٣٢، ١٣٣.

(٢) **ألمرية (Almeria)**: مدينة ساحلية في جنوبي شرقي الأندلس، أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، وكانت للمسلمين لحماية حدودهم من النصارى، وهي ميناء الأندلس التجاري الأول، فقد قصدتها مراكب التجار من الإسكندرية والشام والبلاد النصرانية جنوة وبيزة، وهي اليوم من المدن السياحية في اسبانيا ولم يتبق فيها من الآثار الإسلامية إلا قصبة المرية وهي أطلال حصن فسيح يشرف على المدينة بأبراجها الإسلامية، يقع الحصن شمال المرية على سفح جبل يسمى (غادرو)..الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٧ – ٥٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٦٠ – ١٦٢؛ مؤنس، حسين، رحلة الأندلس(القاهرة: الشركة العربية للطباعة،ط١. ١٩٦٣م) ص٢٨٤، ٣١٠-٣١٣.

(٣) تحقيق: محمد حسن، تونس: مطبعة الشرق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م،ج٢، ص١٦٠، ١٦١.

بطرق التشخيص وتركيب الأدوية وفهمها ومناسبتها للعلل والأمراض، ذلك الفهم القائم على الملاحظة والقياس والتجريب، من أجل الوصول إلى الحقائق الطبية البعيدة عن الشعوذة والطرائق الشعبية، المفتقِرة إلى المهنية والتجريب[١]؛ وقد صرّح الأطباء في مؤلفاتهم بألّا يعالج ويمارس هذه الصناعة إلا من حذق بها وأتقن ممارستها، لكي لا يفسد على الناس حياتهم، وذكروا في ذلك بعض القصص لمن ادّعى الطب من عموم الجهال والمنتسبين، فكانوا سببًا لهلاك من تداوى عندهم[٢].

وقد التزم المحتسبون بتلك التوصيات وما أشار إليه الأطباء من ضرورة قصر المهنة على أهل الاختصاص وأصحاب الصلاحية، حيث شدد المحتسب ابن عبدون التجيبي حين مراقبته للأسواق والمحالّ على ألّا يبيع الشرابَ ولا المعجونَ، ولا يركّبَ الدواءَ إلا الحكيمُ الماهرُ؛ لأن غيرهم من المدّعين والمتطبّبين حريصون على أخذ الثمن بلا علم، فيفسدون الفتوى، ويقتلون الأعِلّاء لأنهم يركّبون أدويةً مجهولةً مخالفةً للعمل[٣].

(١) الغافقي، المرشد في طب العين، ص٥٤-٥٦؛ ابن رشد، الكليات، ص١٢٧.

(٢) ابن زهر، التيسير، ص٢٢١، ٢٧٢؛ ابن رشد، الكليات، ص٥٣٦؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٩٥.

(٣) ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت أواخر ق٦هـ)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) ص٤٧.

ثالثًا: مجالات الاختصاص:

يرتكز الطب الوقائي على عدة عمليات وقائية ويهتم بها، ولذا فقد حدّد عدد من أطباء الأندلس، حينما ذكروا أنه يهتمّ بالتحرّز من الأمراض والوقاية منها قبل وقوعها بإصلاح بدن الإنسان، وحفظ صحته، والحركات البدنية والنفسية، وإصلاح المآكل والمشارب، وكذلك البلدان والمساكن، من خلال تدابير وقائية تتعلّق بتدبير الطعام والشراب، وذكر قواها ومنافعها، وتدبير النوم واليقظة، وتدبير الحركة والسكون، وتدبير الهواء والماء، وتدبير فصول السنة، والقول في الحمام والدَّلْك ومنافعهما ومضارّهما، والجماع وتدبيره، وتدبير الطفل في بطن أمه إلى وضعه، ومن وضعه حتى آخر عمره. وقد قدّم الأطباء هذه التدابير الوقائية في مجملها بصورة تكاملية نافعة للفرد والمجتمع والبيئة، ذلك النسيج الذي يحوي تلك المكوّنات، وغايتهم خلق بيئة خالية من المرض ومسبّباته[1].

أما الطب العلاجي فيتصدى كما يذكر الغافقي لعلاج الأمراض التي تتطلب المداواة بالأغذية والأدوية، وكذلك العمل باليد، الذي يتضمّن ما يكون من جراحات في اللحم، مثل البطّ[2] والكي والقطع والخياطة، وكذلك

---

(١) ابن زهر، التيسير، ص١٨-١٩، ٢٦٨؛ الغافقي، المرشد في طب العيون، ص٩٥-١٥٥؛ ابن رشد، الكليات، ص١٥٩-٢١٧؛ ابن خلصون، كتاب الأغذية، ص٢٧-٧٧.

(٢) بطٌ: بَطّ الجُرْحَ وَغَيْرَهُ يَبُطُّه بَطّاً وبَجَّه بَجّاً إذا شقَّه. والمِبَطّةُ: المِبْضَعُ. وبَطَطْتُ القرْحةَ: شَقَقْتها.. ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقى (ت ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب(بيروت: دار صادر ،ط٣، ١٤١٤هـ) ج٧، ص٢٦١.

ما يكون في العظم كجبر العظم المكسور والمخلوع، إضافة إلى ما يكون في علاج العروق، وينقسم إلى قسمين: ما يكون في العروق الضوارب كالبتر والقطع، والعروق غير الضوارب كالفصد[١][٢].

وقد جاء مدلول الطبّ العلاجيّ عند ابن رشد في كتابه (الكليات) بمعنى (إزالة المرض)، وقد خصّه بمقالة ممهدة تناول فيها أصناف الأمراض وأسبابها، والأعضاء التي تصيبها تلك الأمراض، وكيفية معالجة كل عضو، والحيلة في الوصول لشفائه، من خلال استخدام عدد من المركّبات والعلاجات الدوائية والغذائية، والأمور العامة التي تكون بها إزالة الأمراض، حيث شملت الفصد والاستفراغ والجراحات والجبائر وغيرها[٣].

ومع هذا فلا يمكن القول بأن الطبَّ الوقائيَّ هو طبٌّ نظريٌّ كله، والطبَّ العلاجيَّ هو طبٌّ عمليٌّ كله، بل هما يشتركان في كثير من العمليات النظرية والعملية، فالطب الوقائي لا يكون في بعض حالاته إلا بالممارسة، من خلال الفصد والحجامة ومزج الأعشاب والنباتات والمعاجين والأدهان، في حين أن الطب العلاجي لا يكون إلا بالوصول إلى الصناعة الطبية والتي لا تكون إلا من خلال مزيج نظري تطبيقي عملي تجب فيه معرفة موضوعه الأساسي،

---

(١) الفصد: طرح كمّية من الدم من الجسم عن طريق شقّ العِرق أو الوريد. كنعان، أحمد محمد، الموسوعة الطبية الفقهية، (بيروت: دار النفائس، ط٣. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) ص٢٩٤.

(٢) المرشد في طب العين، ص٥٥، ٥٦.

(٣) ص٢١٧-٢٨٣، ٤٩٧-٥٨٤.

وهو "بدن الإنسان من جهة تكوينه وما يصح وما يزيل عنه الصحة"، ومعرفة الغاية المطلوب تحصيلها من ذلك البدن، "وتشمل حفظ الصحة وإزالة المرض"، ومعرفة الآلات التي بها تحصل تلك الغاية، للوصول إلى تلك الصحة، وتتضمّن "الوسائل والممارسات"[١].

رابعًا: المنهـج العلمـي:

انطلق الطب الوقائي من قاعدة طبية مستقلة في التداوي، وهي "الوقاية بالمتشابه"، وذلك بأن يكون حفظ الأبدان بالجملة من الأمراض التي استعدت لقبولها، حين ظهور أحد العلامات الدالة على حدوث تلك الأمراض، وذلك بحفظ البدن ووقايته بذات الأدوية أو العلاجات المستخدمة لأبطال ذلك المرض إذا حدث، فحفظ البدن من الإصابة بالإعياء القروحي والذي سببه كثرة الدم يكون باستفراغ الجسم من السموم خاصة في الأبدان المهيئة وذات الأستعداد لقبول هذا المرض فتكون وقايتها بذات الطريقة التي يكون بها العلاج وذلك باستفراغ الجسم بالأدوية والأغذية المدرة للعرق والبول والرياضة والدلك وغيرها مما يحافظ على الجسم ويجنبه هذه العلة[٢].

أما الطب العلاجي فقاعدته في التداوي "العلاج بالضد"، وللوصول إلى تأصيل هذه القاعدة ناقش الأطباء قضية جسم الإنسان وتركيبه العنصري والخلطي والكيفي، فذكروا أن البدن يتركب من أعضاء آلية، مثل الرأس

---

(١) ابن رشد، الكليات، ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص٤٩٠؛ ٤٩١.

الصدر اليدين والرجلين، ومن أجسام متشابهة الأجزاء مثل العظام والعصب والعضل والعروق والشحم واللحم، ومن أخلاط أربعة، هي: الدم والبلغم والمرة[١] "المرة الصفراء والمرة السوداء"، وهذه الأخلاط تكونت من الأسطقسات[٢] الأربعة: نار، وماء، وهواء، وتراب، ومن كيفيات أربعة، هي: حرارة، وبرودة، ويبوسة، ورطوبة، وله ثلاث قوى: نفسانية منشأها الدماغ، وحيوانية منشأها القلب، وطبيعية منشأها الكبد[٣].

ومن هذا التقسيم توصل الأطباء إلى أن انعدام الاعتدال الضدّي يجلب للإنسان الأمراض بحيث إذا خرجت الأخلاط الأربعة عن الاعتدال وعن مزاجها الطبيعي وعوملت بضدّ ما يتوافق معها ستكون عرضة للمرض. من ذلك أن المرض الحارّ اليابس يتعرّض له من كان مزاجه الأصلي حارًّا، ثم تناول أغذيته حارّةً في أمزجتها أكثر مما ينبغي أو قليلة ومتباعدة، أو تعرّض

---

(١) المرة: ويقصد بها المزاج من أمزجة الإنسان حينما يغلب عليه مرض فيخرج عن طبعه.. الأزدي، عبد الله بن محمد البلنسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، كتاب الماء، تحقيق: هادي حمودي (عمان: وزارة التراث والثقافة، ط٢، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)ج٣، ص٣٥٧.

(٢) الأسطقس: هو الأصل المكوّن لكل شيء، وقد أجمع الفلاسفة على أنه أبسط الأجسام المركبة وأقلها مقدارًا، وجوهره واحد، وأجزاؤه متشابهة غير مختلفة. الغافقي، المرشد في طب العين، ص٥٦؛ ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ج١، ص١٢٥.

(٣) الغافقي، المرشد في طب العين، ص٥٧، ٥٨؛ ابن رشد، الكليات، ص١٦١- ١٦٥؛ تلخيص كتاب المزاج لجالينيوس، ضمن كتاب رسائل ابن رشد الطبية، تحقيق: جورج شحاتة وسعيد زايد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص٧٥، ٧٦؛ ابن خلصون، كتاب الأغذية، ص١٤-١٩.

لهواء زائد في سخونته، أو مارس رياضة مفرطة، أو كانت مهنته تتطلّب جهدًا يزيد في حرارة البدن، مما يجعله يحتقن فيصاب بالمرض؛ ولذلك يجب أن يعالج أولئك بالضدّ من تبريد وتنقية للهواء، وتخفيف في الجهد المبذول، وتجنّب للأعراض النفسانية التي تسخّن الجسم وتُمْرضه[1].

وقد اهتمّ الأطباء بمعرفة طبائع الأدوية والأغذية والأشربة، ومعرفة أمزجتها وجوهرها وحالاتها؛ ليستدلّوا على العلاج المناسب لمرضاهم بهذه الأدوية والأغذية، وقد أجمعوا على أن تدبير الإنسان يكون عن طريقين: الأول: إذا كانت الغاية حفظ الصحة ووقايتها، وجب أن تكون أمزجة الأغذية مشابهة وموافقة لأمزجة مستخدميها. الثاني: إذا ما كانت الغاية علاجية فالتدبير يكون بالضدّ، إذ يجب أن تكون الأدوية والأغذية العلاجية متضادّة مع مزاج من يستخدمها؛ فالمريض ذو المزاج الحارّ يعالَج بالأغذية الباردة، وذو المزاج البارد يعالج بالأدوية والأغذية المضادّة لمزاجه[٢].

وندرك مما سبق سموَّ المستوى المعرفي والتقدّم العلمي الذي بلغه علماء الأندلس، وما قدّموه من تفصيلات دقيقة لعلم الطبّ بشقيه الوقائي والعلاجي، وبيان أهمية كلٍّ منهما وغاياته ومجالاته، وهو أمر تفوّقت وتفردّت

(1) ابن رشد، الكليات، ص٢٢١، ٢٢٢؛ كتاب المزاج، ص٧٦-٧٨.

(٢) الغافقي، المرشد في طب العين، ص١٠٨؛ ابن رشد، رسالة حفظ الصحّة، ص٤٢٦؛ ابن خلصون، الأغذية، ص٤٣.

به الحضارة الإسلامية وعلماؤها، بل لم تكد تصل إليه أيّ حضارة حتى العصر الحديث.

المبحث الرابع: جهود الأطباء العلمية ومؤلفاتهم في الوباء والعدوى:

شهد الطب وعلومه ازدهارًا ملحوظًا منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دلَّل على ذلك العدد الكبير من المؤلفات الطبّية المتنوّعة في موضوعاتها واختصاصاتها، وخلال تلك المدة مرت بلاد الأندلس بكثير من الأزمات التي ألقت بظلالها على تفاقم الأوضاع الصحية الخطرة، وانتشار الأمراض والأوبئة.

ومن تلك الأزمات: الجفاف، والقحط، والفيضانات، والسيول، والزلازل، إضافة إلى الطواعين. ولا يمكن تتبع هذه الأزمات بمعزل بعضها، إذ إنها تتداخل في مسبباتها ونتائجها وتأثيراتها، فحدوث الكوارث الطبيعة كان عاملًا مهمًّا في انتشار المجاعات، وتفاقم ظاهرة الفقر؛ مما أسهم في سوء الأوضاع الصحية، وأدّى إلى هلاك الناس، وكان سببًا مباشرًا في تفشّي الأمراض والأوبئة.

وعلى العكس من ذلك فقد كانت الأوبئة عاملًا مؤثّرًا في النشاط الديموغرافي والاقتصادي، لما توقعه من الموتى، ومن ثمَّ تناقص أعداد السكان، إضافة إلى الآثار الاقتصادية المتمثّلة في قلة الزرّاع والحُصَّاد، وأيضًا هلاك الدواب والمواشي، وارتفاع الأسعار، وندرة السلع والأغذية، لقلّة اليد العاملة والمنتجة، وقد وصف ابنُ خلدون الآثار التي تخلّفها هذه الأزمات، فقال حين وصف أحوال القرن الثامن الهجري: "هذا إلى ما نزل بالعمران شرقًا وغربًا في

منتصف هذه المئة الثّامنة من الطّاعون الجارف، الّذي تحيّف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرًا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدّول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلّص من ظلالها، وفلّ من حدّها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التّلاشي والاضمحلال أموالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السّبل والمعالم، وخلتِ الدّيار والمنازل، وضعفت الدّول والقبائل، وتبدّل السّاكن، وكأنّي بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنّما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض، فبادر بالإجابة. والله وارث الأرض ومن عليها، وإذا تبدّلت الأحوال جملة فكأنّما تبدّل الخلق من أصله، وتحوّل العالم بأسره، وكأنّه خلق جديد، ونشأة مستأنفة، وعالم محدث"(١).

وفيما يلي نعرض لأشهر تلك الكوارث الطبيعية، التي وقعت خلال فترة الدراسة، وما ترتّب عليها، لنستجليَ جهود الأطباء العلمية والطبية في سبيل مواجهتها.

وتعدّ السيول والفيضانات أبرز هذه الكوارث والتحديات التي واجهت المدن الأندلسية وتكمن خطورتها فيما تحدثه من أضرار وتلف للمحاصيل الزراعية والتربة، وما تلحقه بالسكان من موت، وتشريد وتهجير عن مناطقهم، وتلويث المياه وتكوين البرك والمستنقعات الباعثة على تشكيل الأوبئة والمساعدة في انتشارها. ومن أشهر هذه السيول هو السيل الجارف الذي

(١) المقدمة، ص٣٢، ٣٣.

اجتاح مدن الأندلس عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م، وألحق الضرر خصوصًا بمدينة إشبيلية[١]، وتسبّب في هدم سورها من جهة الوادي، كما كانت المدينة نفسها على موعد في عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، مع سيل جارف آخر خرّب الزروع وهدم الدور، وأحدث كثيرًا من الدمار والأضرار للمدينة وأهلها[٢]. كذلك فقد اجتاح السيل العظيم بلاد الأندلس والمغرب عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٧م، فطال الخراب كثيرًا من الزروع والدور والفنادق، وهدم بسببه الجامع

(١) **إشبيلية (Sevilla)**: تعني المدينة المنبسطة، بينها وبين قرطبة ثمانية أيام، وهي تقع على الضفة اليمنى للوادي الكبير، وهي قاعدة الأندلس أزدهرت منذ عهد الدولة الأموية فبني لها سور حصين وجامع عظيم، وفي سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، سقطت المدينة على يد العدو النصراني، ويتوسط جنوب المدينة ميدان يسمى "ميدان النصر"، حوله تتجمع الآثار الإسلامية، كقصر إشبيلية البديع والكنيسة الكاتدرائية التي تجثم على مسجد إشبيلية الجامع الذي شيده الخليفة الموحدي يوسف ابن عبد المؤمن ٥٧١هـ/١١٧٦م، ، وكنيسة السلفادور الواقعة محل جامع عمر بن عديس والذي شيده الخليفه عبد الرحمن الأوسط سنة ٢١٤هـ/٨٣٠م .. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ق٩هـ/١٥م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (مصر: مؤسسة الرسالة، د.ت) ص٥٩، ٦٠؛ مؤنس، حسين، رحلة الأندلس، ص١٣٦-١٤١.

(٢) المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧ ٠٣هـ/١٣٠٤م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرين (تونس: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) م٣، س٥، ص٥٥٩؛ ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحّدي، تحقيق: محمد الكتاني وآخرين، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ص١٤٠.

الأعظم[١]. وفي عام ٨٣٣هـ/ ١٤٧٨م تساقطت أمطار غزيرة على مملكة غرناطة[٢]، فأحدثت سيولًا جارفةً وفيضاناتٍ ساحقةً من كل ناحية، فغابت الطرق وانقطع الناس، وفاض نهر حدرة[٣] الذي يشقّ غرناطة، فاقتلعت المياه ما على ضفتي الوادي من الزروع والدور والحوانيت والمساجد والفنادق، وهدمت البلد، وما أقلعت السماء إلا وقد كاد يهلك الناس[٤]

---

(١) ابن أبي زرع: علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: كارل بوحسن نورتبرغ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠١٤م) ص٢٤٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٦، ص٢٦٧.

(٢) **غرناطة (Granada)**: على سفح جبل في ملتقى ثلاثة أنهار، كانت تعرف غرناطة اليهود لكثرتهم بها، وهي قاعدة كورة ألبيرة، كانت قاعدة مملكة بني الأحمر لمدة قرنين ونصف، وهي آخر مدينة أندلسية سقطت بيد النصارى عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م، من أشهر المدن السياحية العالمية لما تتمتع به من معالم حضارية تاريخية إسلامية من أشهرها قصر الحمراء، وجنة العريف، وحي البيازين المحتفظ بطابعه الأندلسي المعماري، والقيسارية العربية وهي السوق الأندلسي الذي لازال محتفظاً بطابعه التاريخي، وجامع غرناطة الذي تحول إلى الكنيسة العظمى .. الحميري، الروض المعطار، ص٤٥-٤٦.

(٣) **نهر حدرة (El-Darro)**: يتفرّع من نهر شنيل، ويخترق مدينة غرناطة من الشرق عند سفح التل الذي تقع عليه "الحمراء"، ويتصل بشنيل عند القنطرة الأندلسية القديمة. وهو يكاد يختفي اليوم، ولم يبقَ من مجراه سوى الجزء الصغير المجاور لتل الحمراء. وأما جزؤه الذي كان يخترق وسط المدينة فقد غُطّيَ اليوم بشارعها الرئيس الأوسط المسمى "شارع الملكين الكاثوليكيين"، وامتداده في الميدان الكبير حتى قنطرة شنيل. عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصّرين)، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) ج٧، ص٢٣.

(٤) مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: ألفريد البستاني (القاهرة: دار الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ص٤، ٥؛ المقّري، نفح الطيب، ج٦، ص٢٦٧.

كما واجهت الأندلس أزمات أخرى تمثّلت في فترات القحط والجفاف؛ مما أدّى إلى حدوث المجاعات التي أجبرت الناس على تناول أغذية من حبوب ولحوم رديئة بجملة جوهرها، أو تكون قد فسدت بقدمها وسلوكها طريق التعفّن؛ وهذا يؤدي إلى ضعفهم وجعلهم قابلين للإصابة بالعدوى والأمراض، ومن ثم يسهل هلاكهم. واصطلح الأطبّاء وغيرهم من العامة على تسمية هذه الأزمنة بأزمنة "الوباء"(١)، ففي عهد الدولة المرابطية في عام ٥٢٦هـ/١١٣١م عمَّ القحط قرطبة(٢)، حتى غلت الأقوات وندرت، ومما زاد في سوء الأوضاع توالي هجوم أسراب الجراد الذي فتك بالمحاصيل الزراعية، خاصة بين عامي ٥٢٦ - ٥٢٨هـ/ ١١٣١- ١١٣٣م(٣)، وقد ذكر ابن زهر في هذه المجاعة بعض مشاهداته، من ذلك قوله: "شاهدت وأنا في

(١) ابن زهر، التيسير، ص٢٧٤.

(٢) **قرطبة (Cordove)**: قاعدة الأندلس وأم مدائنها، تقع جنوبي الأندلس على الضفة الغربية لنهر الوادي الكبير، وهي عاصمة ملك بني أمية، دام الحكم الإسلامي لها خمسة قرون، حتى سقطت على يد الملك القشتالي فرناندو الثالث سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م، من أشهر معالمها التاريخية الإسلامية وآثارها الباقية اليوم جامع قرطبة، الذي كان يعرَف بـ"الجامع الكبير"، ومدينة الزهراء وأسوارها القديمة وحماماتها العربية..الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٤-٣٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٦ – ٤٥٨؛ مؤنس،حسين، رحلة الأندلس، ص١٠٥-١٠٩.

(٣) ابن القطان، حسن بن علي المراكشي (ت منتصف ق٧هـ/١٣م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود مكي، (القاهرة: دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٢.

أسر[1] علي بن يوسف(٤٧٦- ٥٣٧هـ/ ١٠٨٣- ١١٤٣م)[2] وفي سجنه قومًا كانوا في أطباق سجنه المعروف بقرقيدن في مراكش[3] يتطارحون على أعشاب كانت تُزال عن السقوف ويأكلونها، وإنَّ مما كانوا يأكلون نوعًا

(١) يذكر أبو مروان بن أبي العلاء في كتابه التيسير أنه امتحن بالسجن من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين لمقالة نقلت له عن والده ووشاية سببها منافسة الأقران، فامتحنهم عليها ونالهم عليها نكد عظيم على غير اعتياد.. ص ١٥٧.

(٢) أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، جمع ملك المغرب والأندلس بعد وفاة والده، (٤٧٦- ٥٣٧هـ/ ١٠٨٣- ١١٤٣م)، أمضى سنوات حكمه الأولى في مجابهة ممالك قشتالة وأراغون وقطلونية النصرانية وبقايا ممالك الطوائف في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية، وتحقّق له عدد من الانتصارات منها أقليش وأفراغة. وفي المغرب اصطدم علي بن يوسف مع الموحدين بزعامة محمد بن تومرت، الذين ضعضعوا ملك المرابطين، وانتزعوا منهم مناطق واسعة من المغرب، وقد ظلت الحروب العنيفة سجالًا حتى وفاة علي بن تاشفين سنة ٥٣٧هـ. المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ)، المعجب في أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الهواري (بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص١٣٠-١٣٠، ١٣١، ١٤٤، ١٥١؛ ابن عذاري، المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: عبد الله محمد علي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ج٤: ص٤٢-٨٧.

(٣) **مراكش:** حاضرة المغرب وأعظم مدنه اختطها يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤هـ، وهي عاصمة الدولة المرابطية والموحدية، تقع جنوب وسط بلاد المغرب مما يلي نهر أم الربيع، وتعد في العصر الحديث ثالث مدن المملكة المغربية في المساحة والأهمية، وبها مطار دولي، ومعالم سياحية بارزه أشهرها مئذنة جامع الكتبية التي تعود للقرن ٦هـ/١٣م..الإدريسي: نزهة المشتاق،ج١، ص٢٣٤-٢٣٦؛ شربل، كمال: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي (بيروت:دار الجبل، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص١٢٠.

مذمومًا من أنواع اليتوع[١]، وغير ذلك لألم الجوع، وكان يموت كلَّ يوم منهم عدد من عشرة إلى ما حول ذلك، ثم لما منَّ الله عليَّ ووصلت الأندلس رأيت في حال اغترابي في المجاعة قومًا يأكلون الكرسنة[٢]، فيصيبهم منها أوجاع المعدة، ورأيت قومًا يأكلون شيئًا يسمّونه الفيجالة[٣]، وشاهدت بمراكش قومًا قد بلغ بهم جهد الجوع، فكانوا يكسرون عظام الجيف البالية من حفير مراكش ويأكلون أمخاخها، وكان قد ظهر فيهم الموت الذريع"[٤].

كما عمت المجاعة في عهد الخليفة الموحّدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٣٣-٥٨٠هـ/ ١١٣٨-١١٨٤م)[٥]، حيث أجدبت الأرض سنة

---

(١) اليتوع: نبات له لبن مسهل للطبيعة ومدر للبول، وهو حاد حارق يؤدي كثيره للموت..الأزدي، كتاب الماء، ج٣، ص٥٢٢.

(٢) الكرسنة: نبات حار يابس، مدر للطبيعة الأكثار منه يوجب بول الدم.. الأزدي، كتاب الماء، ج٣، ص٢٧١.

(٣) الفيجالة: نبات حار أرضي، يسبب عسر الهضم، وبعضه لا ينهضم .. الأزدي، كتاب الماء، ج٣، ص١٤١، ١٤٢.

(٤) التيسير، ص٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن حكم دولة الموحدين اثنين وعشرين عامًا مُتَّصلة، منذ سنة (٥٥٨هـ/١١٦٣م) وحتى سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٥م)، وقد نَظَّم الأمور وأحكمها في كل بلاد الأندلس وبلاد المغرب، وكانت له حروب ضخمة ضدَّ النصارى، وله العديد من الجهود العمرانية منها بناء الجامع الكبير في إشبيلية وجامع الكتبية في مراكش، كان محبا للعلم والعلماء توفي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٥م بعد جرح أصابه وهو محاصر لمدينة شنترين بالأندلس.. المراكشي: المعجب، ص١٧٤-١٧٦، ١٨٨-١٩١.

٥٦٥هـ/ ١١٦٩م، وعمَّ الجفاف لانقطاع المطر[١]، وفي الأعوام الممتدّة منذ ٦١٤ - ٦١٧هـ/ ١٢١٧- ١٢٢٠م كانت المجاعة العظمى التي شكاها الظاعن والمقيم، وتناهت الأسعار إلى حدّ مرتفع فاشتدَّ على الناس الحال، ولقوا من الشدة والفتنة أمرًا عظيمًا، حتى فرّج الله عنهم[٢]. وفي عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م في عهد الخليفة الموحدي إدريس المأمون(٦٢٤-٦٣٠هـ/١٢٢٦-١٢٣٣م)[٣] تزامن الخراب والقحط والغلاء الشديد في بلاد الأندلس، إلى تكالب الأعداء؛ مما فتَّ في عضد الناس وأهلكهم[٤]. وفي عام ٦٢٩هـ/ ١٢٢٨م، وعام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م أضرَّ الجدب بالناس في غرناطة حتى خرجوا للاستسقاء، سائلين الله أن يكشف عنهم الغمة[٥]. كما وقع في ألمرية في عام ٧٣١هـ/ ١٣٣١م تقريبًا مجاعة شديدة وغلاء في السعر

---

(١) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت٥٩٤هـ/١١٩٨م)، المنّ بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص٣١١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، القسم الموحدي، ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٣) إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أبو العلاء، الملقب بالمأمون، عقدت له البيعة بإشبيلية سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦هـ وبمراكش والأندلس، غير أن فترة حكمه ضجت بالفتن والحروب حتى أنه استعان بعساكر ملك قشتاله على معارضية في مراكش من أشياخ الموحدين فكان أول من أدخل جند الفرنجه إلى المغرب، كان محبا للتشييد والبناء والعلم مقربا للعلماء توفي سنة ٦٣/١٢٣٣م. وهو متوجهً لحصار مراكش..ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٢٢٢-٢٢٨.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، القسم الموحدي، ص٢٩٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٨٤.

اضطرّ الناس بسببها إلى أكل الحبوب المتعفّنة من القمح والشعير قديم الاختزان، فهلك لذلك عامة كانوا من الضعفاء والفقراء، لضعف أجسامهم واستعدادهم لقبول المرض، وقد سميت تلك السنة بسنة وباء لكثرة من هلك فيها من أهل ألمرية[١].

وترتبط أزمات القحط والجوع هذه في غالب الأمر بحدوث الأوبئة والطواعين؛ مما يزيد في تفاقم الآثار الصحية التي تصاحب هذه الجوائح الطبيعية.

كما شكّلت الأوبئة والطواعين خطرًا داهمًا أدّى إلى الفتك بالإنسان مباشرةً، ومن أخطر تلك الجوائح ما كان في العهد المرابطي سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م، حيث عمّ الطاعون بالتزامن مع الغلاء والمجاعة، فكثر الموتى وانتشرت الفوضى[٢]. وفي سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، خلال العهد الموحّدي، حصد الطاعون كثيرًا من أرواح الأهالي. وكذلك في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م[٣]، وسنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م[٤]، غير أن أشدَّ هذه الأوبئة فتكًا كان الطاعون الذي وقع في سنتي ٧٤٩-٧٥٠هـ/ ١٣٤٧-١٣٤٨م، وسمّي بالطاعون الأسود (Lapeste noiro)[٥]، وشمل مناطق عدّة كان مصدره آسيا

(١) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٤٠، ١٤١.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٢٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ص١٣٦، ١٣٧؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٤٢.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٢٨.

(٥) محمد حسن، ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، ص٤٧، ٤٨.

الوسطى، ومنها انتقل إلى أوربا كلها وبلاد الفرنج، وامتدّ إلى شمال إفريقيا ومصر، كما اجتاح العراق وبلاد الشام وقبرص، وقد عمَّ معظم المدن الأندلسية في مملكة غرناطة، غير أنه كان أقوى وأكثر فتكًا في مدن: ألمرية، ومالقة[١]، وغرناطة، وبلش[٢]، حيث مات فيه خلق كثير قُدِّروا بالمئات والألوف في كل مدينة[٣].

وقد انبرى علماء الأندلس خلال تلك الحقبة بتأليف المؤلفات الطبية التي تناولت الأوبئة وسبل الوقاية والعلاج منها، وجاءت كتاباتهم متفرّدة ناضجة تعتمِد على التحليل والتجربة والقياس، وتمزِج بين الطبّين الدوائيّ والوقائيّ، فاجتهدوا في شرح دواعي تلك الأوبئة والأمراض ومسبباتها، واستشعار أخطارها، وسبل التدخّل السريع حال حدوثها وتحليلها، ومحاولة تجنّب

---

(١) مالقة **(Malaga)**: مدينة على ساحل البحر المتوسط عليها سور حجري ضخم اشتهرت بثمرة التين، ومدينة مالقة الآن تعد مدينة السياحة الأولى في إسبانيا، وساحلها يسمى ساحل الشمس، ومعظم المواضع والأماكن في مالقة تحوي أسماء عربية .. الحميري: الروض المعطار، ص٥١٧- ٥١٨؛ مؤنس، حسين، رحلة الأندلس، ص٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) **بلش (Vélez)**: من أعمال مدينة مالقة، تقع إلى شرقها وغرب مدينة المنكب، وهي حصنها الذي يتولّى الدفاع عنها، وهي مدينة حسنة، فيها من الأعناب والتين والفواكه الشيء العجيب. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٢٢؛ ابن بطوطة، محمد بن محمد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد الزيني، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت)، ص٦٠٢، ٦٠٣.

(٣) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٣٢، ١٤٣-١٤٥؛ فرحات، يوسف، غرناطة في ظل بني الأحمر، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص١١٣.

الأمراض المرتبطة بها، والوقاية منها مستقبلًا، بمنع انتشارها والتقليل من أضرارها، إضافة إلى رفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات.

ومن أشهر هذه المؤلفات التي حفلت في مضمونها بالمعلومات الطبية التي تخصّ الوباء والعدوى، هي:

"**الكليات**"، لأبي الوليد محمد ابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٩م)[١]. من الكتب التي راجت وتداولها الناس خلال العصور الوسطى، لما حواه من معلومات طبية شاملة موجزة تتناول وظائف الأعضاء وتشريحها، والأمراض وأعراضها، والأدوية والأغذية وحفظ الصحة والعلاج، فكان موسوعة طبية يستفيد منها المتخصص وغيره. وقد أفرد ابن رشد في مؤلفه بابًا خاصًّا بحفظ الصحة على العموم، وفي زمن الأوبئة والأزمنة الخارجة عن طبعها وجوهرها على الخصوص[٢].

(١) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (الحفيد): نشأ في أسرة من أكثر الأسر وجاهةً في الأندلس، عرفت بالحكم والقضاء على المذهب المالكي، وكان فيها قضاء قرطبة حينًا، درس ابن رشد الفقه وعلوم الشريعة وكذلك الفلسفة والطب، يعدّ ابن رشد من أهمّ فلاسفة الإسلام، وأمهر أطباء العصور الوسطى. قدّمه ابن طفيل لأبي يعقوب خليفة الموحدين، فعيّنه طبيبًا له، ثم قاضيًا في قرطبة. ثم تولّى منصب القضاء في إشبيلية، تعرّض ابن رشد في آخر حياته لمحنة بسبب حسد أقرانه من العلماء، لذلك أبعده أبو يوسف يعقوب إلى مراكش، وتوفي فيها عام ٥٩٥هـ/١١٩٩م. ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص٦٤-٦٥؛ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج٢، ص٥٣٠-٥٣٥؛ المراكشي، المعجب، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) الكليات، ص٤٦٧- ٤٩٦.

"**التيسير في المداواة والتدبير**"، لأبي مروان عبد الملك ابن زهر (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م)[١]، وهذا المؤلَّف من أعظم الموسوعات والمراجع الطبية في العصور الوسطى، فقد حوى كثيرًا من صنوف المعرفة في الطبّ، وخلاصة تجارب ابن زهر الميدانية؛ إذ يذكر في هذا الكتاب جميع الأمراض التي عرفها، وطرق علاجها من قمة الرأس حتى أخمص القدمين، وقد أفرد ابن زهر في مؤلفه كثيرًا من الموضوعات المتعلّقة بالعدوى والأمراض المعدية والوبائية، وما يكون فيها من حمّيات، فذكر الأسباب وسبل الوقاية والعلاجات والمركّبات المتنوّعة لمن أصابه شيء من ذلك[٢].

"**كتاب الأغذية**"، لابن زهر أيضًا، وقد تناول فيه الأغذيةَ وخواصَّها وسبل الانتفاع بها كوقاية وعلاج زمن الأوبئة وأوقات العدوى والأمراض، من

---

(١) أبو مروان عبد الملك بن محمد (أبي العلاء) بن مروان بن زهر بن أبي العلاء الإيادي الإشبيلي: ينحدر من أسرة بني زهر، الأسرة الطبية الأندلسية العريقة والمتخصصة في مجال الطب، كان والده أبو العلاء وجده طبيبين. درس وتعلّم الطبَّ على والده نظريًّا وعمليًّا. أشهر أطباء عصره. وكان صديقًا للطبيب والفيلسوف الشهير الوليد ابن رشد، دخل في خدمة المرابطين، ثم الموحدين، تميّزت مؤلفاته بأثرها العظيم في النهضة الطبية داخل الأندلس وخارجها لما حوته من خبرات وتجارب. توفي عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م. ابن بسام، الذخيرة، ج٢، ص١٣٥-١٤٣؛ ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص١٢، ١٣؛ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٥٢٠-٥٢١؛ الحنبلي، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ج٤، ص٣٥٧.

(٢) التيسير، ص٢٦٨- ٢٧٧.

ذلك أن شرب الخل يعالج العفونة ويضادها، وشرب قشرة الأترج يستفرغ الأخلاط ويقاوم السموم، كما أن لشراب الرمان خاصية تمنع أخلاط الجسم من التعفن، وشراب السوسن نافع مع الحمّيات العفونية الطويلة، وغيرها مما سيذكر لاحقا كما تضمّن مؤلفه نصائح تتعلّق بمراتب النوم، ودخول الحمام والجماع والرياضة والفصد، واللباس وأهوية المساكن والمياه والشرب، كما تناول الوباء وأصنافه، والتدبير في زمانه(١).

"**كتاب في الطاعون**"، لأبي جعفر أحمد بن صفوان المالقي (ت٧٦٣هـ/١٣٦٢م)(٢). امتدح الإمام المواق هذا الكتاب، وأنّه من أهمّ مؤلفات المتأخرين من أهل الأندلس الذي خاضوا في موضوع الوباء ودوّنوا فيه، وهو يحوي فوائد وفرائد يستفيد منها من يطالعه، وتقوى بها بصيرته، إلى جانب مطالعة كتاب ابن خاتمة (تتحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) وكتاب وابن الخطيب (مقنعة السائل عن المرض الهائل)(٣).

---

(١) الأغذية، ص٦٤، ٧٣، ٧٥، ١٠٣، ١٠٤، ١١١، ١٢٦-١٢٩.

(٢) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان المالقي: من أهل مالقة، كان إمامًا في الفرائض والحساب والأدب والتوثيق، ذاكرًا للتاريخ واللغة، مشاركًا في الفلسفة والتصوّف، من أشهر كتاب سلاطين الدولة النصرية، له عدد من التصانيف، توفي بمالقة سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م. ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٩٣-١٠١؛ الرصاع، محمد بن قاسم الأنصاري (ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م)، والمواق، محمد بن يوسف العبدري (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م)؛ الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق: محمد حسن (بيروت: دار المدار الإسلامي، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) ص٩٠.

(٣) الأجوبة التونسية، ص٩٠.

"**إصلاح النية في المسألة الطاعونية**"[1]، أبي عبد الله بن مشتميل البلياني (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)[2]. عاصر الوباء الجارف الذي ظهر في ألمرية، وفتك بأهلها عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م، فانبرى لتدوين مؤلفه هذا بعدما قال إنه لم يجد من العلماء من دوّن في هذا الوباء وفصّل فيه فيما يتعلّق بما يجب على أهل ألمرية في ضوء هذه النازلة، وفق خمسة فصول: الأول: في أسمائه الواردة في الشرع وفي مدلولاتها؛ وسمّاه رسول الله ﷺ طاعونًا ووباءً ووجعًا وسقمًا. والفصل الثاني: في سبب إنزال الله تعالى هذا الأمر بخلقه، والثالث: في فضيلة هذه الميتة، والرابع: في الداهية الدهياء والداء العياء والفتنة العمياء؛ وهي: "العدوى"، والخامس: في الخروج من أرض الطاعون. وقد قدم البلياني النسخة

(١) مخطوط، مكتبة الأزهر الشريف، رقم (خاص ٢٠٦١)؛ (عام ٩٧٦٠٧) مجاميع؛ ٥٧ لوحة، كتب سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م. بخطّ أندلسي بيد الناسخ إبراهيم بن يحيى بن خالد. ويسمّى أيضًا: "**الدر المكنون في مسألة الطاعون**"، سمّاه بذلك شيخ البلياني أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف السلمي البلفيقي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م). أورد ذلك البلياني في مقدمة كتابه، وقد ذكر ناسخ الكتاب في تسمية الكتاب التسميتين، فيقول في (ورقة ١و): "إنما كتبت التسميتين لأني لم أتحقق ما اعتمد المؤلف منهما؛ وبالله التوفيق". المخطوط، ص٢-٤.

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي البلياني: من أهل ألمرية، تولّى الخطابة وعقد الشروط فيها وبعض أعمالها، كان عالمًا بالقراءات والنحو والأدب، بارعًا في الكتابة والشعر، له في علم الكلام، وكان مشاركًا في التأليف. توفي في آخر عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م. ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٢٤٦-٢٤٩.

الأولى من هذا الكتاب لخزانة أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر الأنصاري الخزرجي، (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م)[١].

"**تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**"، لأبي جعفر بن خاتمة (ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م)[٢]. جاء هذا التصنيف من قبل ابن خاتمة، وهو من أشهر أطباء ألمرية في فترة الوباء الذي اجتاح الأندلس منذ عام ٧٤٩هـ/١٣٤٩م، وقد بذل الجهد في مؤلفه هذا ليجلي الأفهام، وليبيّن حقيقة هذا الوباء، وضمّن مؤلفه عشر مسائل: الستُّ الأوَل منها تتعلّق بأحكام الطاعون طبًّا من حيث أسبابه وكيفية العدوى والتحفظ والتحرّز والعلاج منه، وكذلك تناول في الأربعة المسائل الأخيرة أحكام الطاعون شرعًا، وما جاء فيه من أحكام[٣].

---

(١) البلياني، إصلاح النية في المسألة الطاعونية، ص ٦، ١٠، ١٦، ٢١، ٤٧.

(٢) أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري: من أهل ألمرية،كان شاعرًا، أديبًا، فقيهًا، زاهدًا، أثنى عليه معاصروه، ومن أبرزهم لسان الدين ابن الخطيب، فقد أفرده بترجمة ذكر فيها حاله ونبوغه وبديع بيانه نثرًا وشعرًا، له عدد من المؤلفات، توفي سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م. التنبكتي، أحمد الصنهاجي (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: علي بن عمر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ج١، ص٣٨؛ المقّري، نفح الطيب، ج٨، ص١٧١-١٧٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٨.

(٣) تحصيل غرض القاصد، ص١٢٥، ١٢٦.

"**مقنعة السائل عن المرض الهائل**"، لأبي عبد الله ابن الخطيب السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)[١]. ألّف ابن الخطيب رسالة في الطاعون عام ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م تشتمل على خمس مسائل في الطاعون حوت التعريف بالمرض الهائل، وسببه، وأعراضه، وعلاجه، وطرق الوقاية منه، وأعراضه العامة والخاصة[٢].

"**الوصول لحفظ الصحة في الوصول**"، لابن الخطيب أيضًا، وتضمّن مؤلفه عددًا من الموضوعات المهمّة منها سبل حفظ الصحة مع اختلاف فصول السنة، وكيفية تدبير الصحة عند حدوث تغييرات الهواء وتفشي الأوبئة وطرق وقاية الجسم بالأغذية والأشربة وبالنوم الرياضة واستخدام الحمامات[٣].

---

(١) لسان الدين محمد بن عبد الله ابن الخطيب التلمساني: كان شاعرًا وكاتبًا وفقيهًا مالكيًّا ومؤرّخًا وفيلسوفًا وطبيبًا وسياسيًّا أندلسيًّا، درس الأدب والطبّ والفلسفة في جامعة القرويين بمدينة فاس، له عدد من المصنّفات، منها: كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، واليوسفي في الطب، ورجز في الأغذية، ورجز في عمل الترياق، وغيرها. قضى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط محمد الخامس النصري. توفي مقتولًا في مدينة فاس سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م. ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٣٧٣-٥٥٤؛ المقّري، نفح الطيب، ج٨، ج٩، ج١٠؛ أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين (الرباط: صندوق إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ج١، ص١٩١- ٣٣٦.

(٢) مقنعة السائل، ص١٠٧-١٠٩.

(٣) الوصول لحفظ الصحة، ص١٢٥، ١٤٠، ١٤٤-١٥٠، ١٥٦.

"**تحقيق النبأ عن أمر الوباء**"، لأبي عبد الله الشقوري (كان حيًّا سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)[١]. يعدّ الطبيب الشقوري ممن عاصروا وباء الطاعون لما اجتاح الأندلس ومملكة غرناطة، ولا بد أنه قد ضمّن مؤلفه هذا تفسيرًا لحدوث الوباء وأسبابه وسبل الوقاية والعلاج منه[٢].

"**النصيحة**"، للشقوري أيضًا، وقد جاء هذا كرسالة مستقلة عن كتابه السابق (تحقيق النبأ عن أمر الوباء)، وهي جزء ملخّص منه، عرض فيها معلومات مهمة تتعلق بالوباء، أراد منها تبسيط القول والإفادة لعامة المسلمين، وقد ابتدأها بقوله: "عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "الدين النصيحة" وأن من سنته المحافظة على الطب والعلاج...، وإني رأيت أن أبثّ في هذا العارض الوبائي نصيحة لإخواننا المسلمين جعلها الله خالصة لوجهه..."[٣].وقد تضمنت عددًا من التدابير الوقاية جعلها في فصلين:

---

(١) أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري: انحدر من أسرة امتهنت الطب بعاصمة النصريين، وكان طبيب الدار السلطانية، كان حيًّا سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، وكتابه (تحقيق النبأ عن أمر الوباء) من الكتب المفقودة، وقد ذكره في معرض لرسالته النصيحة، إذ قال: "هذا هو كلام في هذه النصيحة على ما شرطته. وقد بسطت هذا بأوعب منه في تأليفي المسمى بـ(تحقيق النبأ عن أمر الوباء) فليقطع الكلام خشية التطويل". النصيحة، ص٢٦٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) النصيحة، ص٢٦٤.

(٣) النصيحة، ص٢٥٥، ٢٥٦.

الأول: خاص في إصلاح الهواء، والثاني: في إصلاح الأبدان بالغذاء والدواء[١].

"**مقامة في أمر الوباء**"، لأبي عمر علي المالقي (كان حيًّا عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)[٢]. تتناول هذه المقامة موضوع وباء الطاعون الذي اجتاح مملكة غرناطة سنتي ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، ٨٤٥هـ/١٤٤١م. وتخاطب المقامة قصر الحمراء على لسان مدينة مالقة، وتدعوها إلى حثّ السلطان الغالب بأمر الله محمد النصري[٣] وعدم الاعتراض على انتقاله من غرناطة التي فشا

(١) النصيحة، ص٢٥٧، ٢٥٩.

(٢) أبو عمر علي بن عمر بن علي الحاج السعيدي المالقي: من الكتاب البارعين في مملكة غرناطة، كان ذا صنعة أدبية بديعة، تصدّى للكتابة في زمن الوباء فدوّن مقامة حوت النصح والتذكرة، أوردها المقّري كاملة في كتابه أزهار الرياض، وله عدد من المقامات والأشعار التي يحفظها الخاصة والعامة. المقري، أزهار الرياض، ج١، ص١١٦-١٣٢.

(٣) أبو عبد الله محمد الثامن بن يوسف بن أبي الحجاج يوسف بن محمد النصري الخزرجي الملقب بالأيسر، من أسرة بني الأحمر حكام مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس، تولى في فترة شاع الضعف فيها واضطربت البلاد بالثورات مما عجل بسقوط مملكة غرناطة، وتبعا لذلك تولى الحكم أبو عبد الله الأيسر وعزل لأكثر من مرة فحكم لأول مرة (٨٢٠-٨٣١هـ/١٤٢٧-١٤٢٨م)، الثانية (٨٣٣-٨٣٥هـ/١٤٣٠-١٤٣٢م)، الثالثة (٨٣٦-٨٤٥هـ/١٤٣٣-١٤٤١م)، وقد خاض فيها حروبا ضد ممالك النصارى .. عنان، محمد: دولة الإسلام في الأندلس، ج٧، ص١٥٥-١٦٣.

فيها الوباء إلى مالقة التي كانت آنداك قد خلت منه، وهي في مجملها نصائح ووصايا وبعض التدابير الوقائية[١].

"**وصية الناصح الأودّ في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد**"[٢]، لأبي عمر بن منظور القيسي (ت٨٨٨هـ/١٤٨٣م)[٣]. وقد احتوى هذا الكتاب المخطوط على نصائح أبي عمر القيسي للوقاية والتحفظ من الإصابة بالوباء، فيقول: "ولا نتعرض لكلام على دواء الداء بعد حصوله من أمراض الوباء، اعتمادًا على ما ألّفه الأطباء، وقد أحسن ابن خاتمة (رحمه الله) في ذلك فيما رأيت، والله يتولى أمرنا في الدارين وهو حسبنا ونعم الوكيل)[٤]. وتضمّنت هذه الوصية ثلاثة فصول؛ الأول: يتعلّق بالتدابير الشرعية التي يُتعامَل بها في زمن الأوبئة من الأذكار والأوراد، والثاني: يتعلّق بتدبير الإنسان وما ذهب إليه الأطباء من إصلاح الهواء والمسكن والمأكل والملبس والحركة والسكون، والنوم واليقظة، والاستفراغ والاحتقان، وما يتعلّق بها من تسهيل الطبع،

---

(١) المقّري، أزهار الرياض، ج١، ص١٢٥-١٣٢.

(٢) مخطوط، الرباط. خزانة محمد بن عبد الهادي المنوني، ضمن مجموع من (١- ٢٣)، رقم (١/٤٥).

(٣) أبو عمر محمد بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن عبيدالله بن محمد بن منظور القيسي: من أهل غرناطة، تولى قضاء مدينة مالقة وبسطة، وكان قاضيًا في مملكة غرناطة سنة ٨٦٤هـ/١٤٦٠م، من بيت نباهة وعلم، كان حيًّا في عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، وفي تلك الحدود مات عن سنٍّ عالية. التنبكتي، نيل الابتهاج، ج٢، ص٢٤٤، ٢٤٥.

(٤) وصية الناصح الأودّ، ص٢١، مخطوط، الرباط. خزانة محمد بن عبد الهادي المنوني، ضمن مجموع من (١- ٢٣)، رقم (١/٤٥).

وتنظيف البطن، وتخفيف الدم، والجماع، والاستحمام، والثالث: ما يتعلّق بالخواصّ في هذا المعنى من أقوال الأطباء والحكماء[١].

"**الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية**"، لأبي محمد الرصاع (ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م)[٢]. ولأبي عبد الله الموّاق (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م)[٣]، وهي أجوبة لأسئلة تناولت عدّة جوانب تتعلق بالطاعون، فحوت مسائل تشريعية وطبية ونفسية واجتماعية. وجاء في ثناياها كثير من النصائح المتعلقة بالاحتراز والوقاية من العدوى والوباء. وقد بعث بها الإمام المواق من غرناطة إلى الطبيب الرصاع في تونس[٤].

---

(١) وصية الناصح الأودّ، ص١، ٢.

(٢) أبو محمد بن القاسم بن أبي يحيى بن أبي الفضل الأنصاري الرصّاع، فقيه مالكي، عارف بالطب والعربية، قاضي الجماعة بتونس، تولّى الإمامة والخطابة في جامع الزيتونة، كان متصدّرًا للإفتاء وإقراء الفقه والعربية. وعرف بالرصّاع لأن أحد جدوده كان نجّارا يرصّع المنابر. توفي في تونس سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م. الرصاع، الأجوبة التونسية، ص٣٢؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٤٧؛ القرافي، توشيح الديباج، ص٢٠١، ٢٠٢.

(٣) أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري المواق: مفتي المالكية وفقيههم في غرناطة، وصالحها وإمامها، وصف بالعلّامة الحافظ المحقّق النظار، المتحلّي بالوقار، خاتمة علماء الأندلس والشيوخ الكبار. توفي عن سنٍّ عالية سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م..القرافي، محمد بن عمر (ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م) ، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ص٢٢١؛ التنبكتي، نيل الابتهاج،ج٢، ص٢٤٨.

(٤) الرصاع: الأجوبة التونسية، ص٥٧.

المبحث الخامس: قواعد الأطباء في الوقاية من العدوى والأوبئة:

عرّف ابن خاتمة المرضَ فقال: "حال للإنسان غير طبيعية يستضرّ عنها في أفعاله الطبيعية، وهو ضدّ الصحة التي هي حال له طبيعية، تكون عند استقامة أفعاله، وكلاهما يعنى به الطب"(١). كما عرّفه ابن رشد فقال: "إن حدَّ المرض مفهوم من حدّ الصحة إذا كان مقابله، ولما كانت الصحة هي حال في العضو بها يفعل فعل الفعل الذي له بالطبع، أو ينفعل الانفعال الذي له، لزم ضرورة أن يكون المرض حاله في العضو بها يفعل على غير المجرى الطبيعي أو ينفعل"(٢).

وقد تعدّدت الأمراض المعدية وشاعت في فترة الدراسة، فواجهها الأطباء بالبحث والتشخيص لمكافحتها، وللتخفيف من أعراضها، وباعتبار العدوى هي المسبّب الأول والرئيس لانتقال أي وباء وتفشيه، فقد سعى الأطباء إلى رسم خط المواجهة الأول من خلال الوقاية الصحية، عن طريق فرض قوانين وتدابير تعنى بالثقافة الصحية المجتمعية. وقد بذل الحكام والأمراء والمحتسبون وأصحاب النفوذ جهودًا كبيرةً لتحقيق هذه التوجيهات الطبية، للنأي بمجتمعاتهم عن انتشار هذه الأوبئة وتفشيها، وغايتهم النجاة، وألّا ينتشر

(١) تحصيل غرض القاصد، ص١٢٨.

(٢) الكليات، ص١١٢.

المرض من السقيم إلى الصحيح، [1]وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل في الصفحات القادمة.

وقد ناقش الأطباء قضية العدوى واعتبروها أمرًا ثابتًا في الطبّ، وينبغي التعامل معها بالوقاية قبل العلاج. وفي ذلك يقول ابن خاتمة حين حديثه عن وباء الطاعون: "الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه أن هذا الداء يسري شرّه ويتعدّى ضرّه، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة"[2].

كما عرّج الأطباء على بيان كيفية التعاطي مع المرض إن وقع، وذكروا أن طبيعة الجسم ومدى تهيؤه هو من يحدّد استعداده لاستقبال المرض من غيره، وفي ذلك يذكر ابن الخطيب: "الاستعداد تهيؤ شيء لقبول شيء بمناسبته ومشاكلته له، يلبس صورته، على مسامحة في هذا التعريف. فإذا اتّفق أن يكون المزاج الشخصي قريبًا في عرضه من مزاج الوارد السمّي مستعدًّا لقبوله قَبِله ومال إليه من غير مدافعة ولا ممانعة، كما يثب الزئبق على الذهب لشبهه بنسخه، ومناسبته إياه، فيغوص فيه ويتّحد به ويسري في الأمشاج والرطوبات بسريان الروح، فيفسدها إفساد السّموم"، كما وصم ابن الخطيب من نفى وأفتى بعدم وجود العدوى بأنهم من الزعّار المسترخصين لنفوس المسلمين والذين يقولون على الله بغير علم[3].

---

(١) ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١١٠، ١١١، ١١٣؛ الرصاع، الأجوبة التونسية، ص١٣٠.

(٢) تحصيل مرض القاصد، ص١٥٧.

(٣) مقنعة السائل، ص١١٢، ١١٣، ١١٥.

كما يعدّ مفهوم الوباء من المصطلحات التي تداولها أطباء الأندلس في عصر الدراسة، حيث عرّفه ابن زهر فقال: "الوباء: جرت العادة عند الناس بإيقاعهم هذا الاسم على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم. وهذا إنما يكون بما يشترك الناس في استعماله؛ كالآفة واحدة بحسب استعداده لقبولها"(١)، وعند ابن خاتمة هو: "مرض عامّ للناس قتّال غالبًا عن سبب مشترك"(٢)، في حين عرفه ابن الخطيب بأنه: "الذي يطلَق عليه اسم الوباء إمّا فاشيًا في العالم أو أكثر العالم"(٣)، وقد قال عنه البلياني: "الوباء والطاعون لفظان مترادفان موضوعان على اللسان لكثرة الأمراض والموت"(٤).

من ذلك يمكن القول إن الوباء هو كل مرض عامّ، سريع الانتشار يصيب مجموعة من الناس في منطقة شاسعة وفي وقت واحد. وانقسمت هذه الأمراض الوبائية إلى أنواع ثلاثة: الوافدة حينما تكون غير مميتة وسهلة، فهي تفدُ على عامة الناس أو الجماعة منهم، وتسمى بالبلدانية إذا اختصّت ببلد معيّن، وبالموتان إذا كانت مهلكة كوباء الطاعون(٥).

وقد تنوّعت صور هذه الأمراض الوبائية، والتي تنتقل بالعدوى، وكان أشدّها فتكًا في ذلك الزمن الجذام والطاعون، إلى جانب أمراض أخرى،

---

(١) الأغذية، ص١٢٩.

(٢) تحصيل غرض القاصد، ص١٢٨.

(٣) الوصول لحفظ الصحة، ج١، ص١٤٠.

(٤) إصلاح النية في المسألة الطاعونية، ص٦.

(٥) ابن زهر، التيسير، ص٢٧٣؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٢٩.

كالسّل[١]، والجدري[٢]، والجرب[٣]، والرمد[٤]، والمنخوليا(5)[٦]، وغيرها، ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن خاتمة قد فرّق بين الوباء والطاعون، فقال: أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض، فسمّيت طاعونًا لتشابهها في الهلاك بذلك، فعلى هذا كلّ طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونًا[٧].

وفي إطار اهتمام الأطباء بالأوبئة وفرض الإجراءات المتنوعة للحدّ من انتشارها، حوت مؤلفاتهم عددًا من القواعد التي عنوا بها للحث على الوقاية وكانت بمثابة الضوابط والتدابير التي لاغنى عن الالتزام بها ومن أهمها الضوابط

(١) السل قرحة تحدث في الرئة تصيب الإنسان بالهزل وتؤدي للموت.. الأزدي، كتاب الماء، ج٢، ص٣٢٢.

(٢) الجدري بثور صغيرة تظهر كرؤوس الإبر ثم تمتلئ، سببها غليان الدم لكثرة مايخالطه من الهواء الرديء.. المصدر السابق، ج١، ص٣٦٠.

(٣) الجرب بثور صغيرة حمراء شديدة الحكة، وتكون لفساد الدم وتغير المزاج واختلاطه بالمرة الصفراء أو السوداء.. المصدر السابق، ج١، ص٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) الرمد وجع يصيب العين فتنتفخ وتصيبها الرطوبة بسببه .. المصدر السابق، ج١، ص٢٠٢.

(5) المنخوليا هو مرض يصيب الذهن يؤدي لشدة الخوف وسوء الظن والوساوس..ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ج٢، ص١٣٥.

(٦) ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة،ج٢، ص١٠٣، ١٠٤؛ الرصاع، الأجوبة التونسية، ص٥٧.

(٧) تحصيل غرض القاصد، ص١٢٧.

الدينية والإدارية والبيئية والعمرانية والدوائية، لمواجهة تلك الجائحة والحدّ من آثارها والتخفيف من أضرارها.

أولًا: الضوابط الدينية:

تواترت أقوال الأطباء في أن العدوى هي مجاوزة العلّة من صاحبها إلى غيره، يقال أعدى فلان فلان من خلفه أو من غرته، وذلك على ما يذهب إليه الأطباء في أن علل العدوى سبع، هي: الجذام، والجرب، والجدري، والحصبة، والبخر، والرمد، والأمراض الوبائية(١).

ولموسوعية العلم والمعرفة التي تحلّى بها أطباء الأندلس لم تكن مواجهتهم للأوبئة مقصورة على النواحي الطبية، بل كانت مزيجًا بين توجيهات شرعية وطبية، فقد كان الأطباء ينظرون للوباء من منظار الطبيب والفقيه الذي يعتقد بتكاملية الدين، وأنه صالح في تشريعاته لكلّ نواحي الحياة وظروفها المختلفة. وقد بيّن ذلك الطبيب الشقوري ذلك في رسالته (النصيحة)، الخاصّة بوباء الطاعون، فقال: "كثيرًا من الناس يفهم من كلامه أن الطبّ يخالف أمر الله، وهذا جهل من قائله، وإنما المخالف لأمر الله من نسب فعلًا لمخلوق من كل وجه، بل ذلك الشرك والعياذ بالله، والاعتقاد الواجب في ذلك أن الطبّ من أمر الله، ومما ندب إليه رسول ﷺ وبما خوّل الله به عباده من النعم، والفعل فعله، والأمر أمره، لا رادَّ ولا معقّبَ لحكم"(٢).

---

(١) االرصاع، الأجوبة التونسية، ص١٣٥.

(٢) النصيحة، ص٢٥٦.

كان للأطباء دورٌ بارزٌ في هذه الجوائح، حينما خصّصوا فصولًا مطوّلةً في مؤلفاتهم، تتحدّث عن الاحتراز والوقاية من العدوى في مثل هذه الأزمنة، وما يجب على من خالط مثل هذه الأمراض من واجبات، وما للمرضى من حقوق. ففي زمن وباء الطاعون كانت الحلول الطبية قاصرة أمام الأطباء لعدم معرفتهم بماهية هذا المرض، فاعتبروه من جنس الأمراض الكائنة، لعدّة أسباب، منها: الفلكية والبيئية، إلى جانب الأسباب التي مردّها تفشّي الذنوب والمعاصي، وانتشار الغلول والزنا والربا؛ مما يحتّم العقوبة الإلهية لذلك، فالطاعون من جنس العقوبات التي توجب التوبة[1]، ومع ذلك فقد صرّح الأطباء من منظور فقهي أن الطاعون، كما أنه رجس وعذاب للكافرين، فهو رحمة وشهادة للمسلمين، وفي ذلك يقول ابن خاتمة: "إن من الوباء نوعًا من غضب الله عز وجل، ولا جرم أنه لا يُستَدْفَع غضبه إلا بالتماس رضاه، إذ لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، كما قال الرسول ﷺ: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، وقد قررت هذا المعنى للخاصة والجمهور أيام كلامي عليهم بالمسجد الجامع من ألمرية، عمره الله تعالى بدوام ذكره، وذلك زمان هذا الحادث، والتمست لنفسي ولهم فيه علاجًا، ومنه شفاءً. فلم أجد بعد البحث واستفراغ الجهد في النظر ما يكون

(١) البلياني، إصلاح النية في المسألة الطاعونية، ص١٣-١٥؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص٢٠٦؛ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١٢١، ١٢٢.

فيه لهذا الخطب بعض كفاء، وللصدور سبيل راحة وشفاء، غير التطارح على فضل الله تعالى، والتعرض لرحمته"[١].

كما تطرّق الأطباء لبعض الإجراءات الدينية التي تحول دون وقوع الوباء والإصابة بالطاعون، وهي من الحلول التي شاعت وانتشرت بين العامة، لاعتقادهم وإيمانهم الديني أن الله هو الشافي المعافي؛ فجاءت قراءة القرآن أول ما حثَّ عليه الأطباء، وأنه مدعاة للخلاص من هذا العارض، فالقرآن شفاء، وهو الطبّ الروحاني الذي يقابل الطبَّ الجسمانيَّ في هذه المهالك كما يذكرون. وفي الرقية به على المريض فائدة عظيمة، وكذلك تعويذ الصحيح به خير وحفظ، ويقولون إن العمل بهذه التدابير الشرعية لا ينافي التوكّل على الله، وهو غاية الحفظ الأساسية[٢].

كما يذكر ابن منظور القيسي أن التحرّز بقراءة القرآن يكون بالبسملة، ثم يقرأ أمَّ القرآن (الفاتحة)، ثم يختم بأن يسأل الله أن يصرف عنه هذا الوباء؛ مما يرجى النفع به، ومن حرص على تلاوتها أربعين مرّة كانت نافعة دافعة حافظة له، وقد أورد القيسي كثيرًا من الأوراد القرآنية والآيات؛ مما ذكر وشاع أن فيه نفعًا في تلك الأزمنة وحضًّا عليه[٣]. وقد عدَّ ابن الخطيب الصلاة من

(١) البلياني، إصلاح النية في المسألة الطاعونية، ص١٣-١٧؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٧.

(٢) الرصاع، الأجوبة التونسية، ص١١٨.

(٣) وصية الناصح الأودّ، ص٣-٥.

أهمّ التدابير التي تقي من أي داء، وهي سبب لدفع شرور الدنيا، فيذكر أن الصلاة يستشفى بها من عامة الأوجاع قبل استحكامها، فمن أحسّ ببدء الألم من الطاعون وغيره، فبادر بالوضوء والصلاة وفرغ قلبه لله تعالى، وجمع همته على الله في صلاته، اندفع ذلك الألم بإذن الله(١).

كذلك تناول الأطباء قضية الدعاء والأذكار ومواصلة الاستغفار والتسبيح والصلاة على النبي ﷺ، وأن في ترديدها حرزًا للمتحفّظ، ووقاية من هذا الوباء قبل وقوعه، ومنفعة لمن قرأها، بل ويتأكّد العمل بها، لأنها كما يقولون لا تختصّ بغنيّ ولا فقير، وهي جبر لقلوب جميع الأمة من فقير وحقير، وصغير وكبير(٢)، وذكروا في ذلك صيغًا عدّة، وعيّنوا لها أزمنة وتكرارات محدّدة.

وإلى جانب هذه الأدعية ذهب بعض الأطباء لذكر بعض الأدعية التي صوّرت لنا النموذج السائد لذهنيات ذلك العصر، التي سيطر عليها الخوف والهلع، فقد شاعت بعض الأدعية التي تضمّنت طلاسم وكلمات أعجمية غير معروفة، فحفظها العامة وعلّقوها عليهم، ويذكرون أنها من الأذكار المجرّبة، التي ظهر نفعها في صرف هذا العارض، ومنها: "اللهم سكّن فتنة صدمات قهرمان الجبروت، بألطافك النازلة من باب الملكوت، حتى نتشبّث

(١) مقنعة السائل، ص١٢٢.

(٢) البلياني، إصلاح النية في المسألة الطاعونية، ص١٥؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص٢٠٥-٢٠٨؛ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١٢١، ١٢٢.

بأذيال قدرتك، ونعتصم بك، يا ذا القدرة الكاملة، يا ذا الرحمة الشاملة، يا ذا الجلال والإكرام"[١].

وقد رأى الأطباء تأكيد الصدقة والتوبة في هذه الأزمنة، لما لها من فوائد في دفع بلاء الوباء والحفظ منه، ويستدلّون بقول النبي ﷺ: "الصدقة تدفع ميتة السوء"[٢]، ففيها التماس شفاء المرضى ورفع النقمة[٣]، وقد جدّ أهل ألمرية بعد نزول الوباء بهم سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م في إطعام المساكين بعد مناداة العلماء، كابن خاتمة والبلياني وغيرهم، بضرورة بذل الصدقة والمعروف للمحتاجين طلبًا لرضى الله، ودفعًا لغضبه، فَكُسِيَ العرايا وجُهِّزَ اليتامى بما يحتاجون إليه، وبُذِلَ في فكّ الأسرى الكثير[٤]. وقد وافق العلماء الأطباء في أهمية نشر ثقافة التكافل الاجتماعي، وتعهّد الضعفاء بإصلاح حالهم، ومواساتهم في هذه الظروف الوبائية، بتحسين ظروف حياتهم وغذائهم وسكنهم، فتقوى أبدانهم، وتغدو أقدر على مواجهة الطاعون والتصدّي لتفشي أمراض ذلك العصر. ففي مالقة حينما عمّ الوباء الأعظم بها سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م واشتدّ فتكًا، حتى كان يستشهد فيها في اليوم ما يزيد

---

(١) ابن منظور القيسي، وصية الناصح الأودّ، ص٧؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٦٤؛ الرصاع، الأجوبة التونسية، ص١١٦-١١٩.

(٢) البزار، البحر الزخار، ج١٣، ص١٩٢، الحديث ٦٦٤٧.

(٣) البلياني، إصلاح النية في المسألة الطاعونية، ص٤٢؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٤) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص٢٠٧، ٢٠٨.

على الألف من أهلها، وحين ذلك شكّل العامة والخاصة فيها مجموعاتٍ تطوّعية مهمتها مساعدة المحتاجين والفقراء في البلدة والمغتربين، كما يجهّزون الموتى ويشترون الأكفان ويحفرون القبور، وفي سبيل ذلك قدموا قاضيَهم أبا عبد الله الطنجالي ليكون مشرفًا ومنظّما لجهودهم، فتجمع عنده الصدقات والأموال، وينظّم سبل صرفها وإنفاقها، حيث هرع أهالي مالقة مساهمين بأموالهم وحليّهم وما يملكون من الذهب والفضة والذخيرة، وغير ذلك كثير، فاجتمع عند القاضي الطنجالي كثير من الصدقات والهبات التي انتفع بها الأحياء والأموات، وظلّ ذلك عهد أهالي مالقة حتى خفّ الوباء ولطف الله بالعبادة(١).

كما كان للعالم العابد محمد بن القاسم الأمي دورٌ في فتنة الوباء بمالقة سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، إذ تزاحم عليه في مجلسه الخاصة والعامة، معلنين التوبة، ومقلعين عن الشهوات، لما أخذ بقلوبهم ناصحًا وواعظًا، فبذلوا الأموال في أبواب البرّ والصدقة للضعفاء والمرضى والمساكين، مما لايأخذه الحصر ولا يدركه الإحصاء، وقد توفي شهيدًا في ذلك الوباء من العام ذاته(٢).

إضافة لذلك فقد وجه الأطباء إلى ضرورة الاحتياط والتحرّز عند زيارة المريض وأكّدوا ذلك أيًّا كان مرضه، فقد قال ﷺ: "لا يردُ ممرض على

(١) النباهي، علي المالقي (ت أواخر ق٨هـ) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي(بيروت: دار الآفاق الجديدة،ط١ ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)ص١٥٥- ١٥٧.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص١٨٢، ١٨٣.

مصحّ"[١]. وقال ﷺ: "فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد"[٢]، ولعل الفرار من المجذوم، وكذلك منه به سلّ، كما بيّن الأطباء والفقهاء غايته، وهو منع انتقال الداء من جسد إلى جسد بالملامسة والمخالطة، فرائحة المجذوم ومن به سلّ تسقِم من واظبها بالمجالسة والمخالطة والاشتمام؛ لذلك وجب التحرّز منه[٣].

ثانيـًا: الضوابط الإداريــة:

في مواجهة هذه الأزمات الصحية كان للتوجيهات الإدارية المدروسة التي وجّهها أطباء الأندلس دورٌ كبيرٌ، فقد سجلوا كثيرًا من التدابير الوقائية التي من شأنها أن تكافح أي مخاطر صحية، بدءًا من العدوّ الأشدّ الطواعين، حتى الأمراض المعدية المختلفة، وقد سجّلت لنا مؤلفاتهم إشارات كثيرة بيّنت هذا التوجّه الوقائي.

ومما جعل قرارات الأطباء وتوجيهاتهم الطبية محلَّ عناية واهتمام وجود الأطباء في هرم السلطة الإدارية في الدولة المرابطية، وكذلك الموحدية، ومن بعدهم النصرية، وللمكانة المرموقة التي حظوا بها في الأوساط الخاصة والشعبية، فكان للحكام والمحتسبين ورجال السلطة حضورٌ بارزٌ في تنفيذ هذه

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج٣، ص١٦٧٠، الحديث رقم ٥٧٧١.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص١٦٥٤، الحديث رقم ٥٧٠٧.

(٣) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص٢٤٤، ٢٤٥؛ الرصاع، الأجوبة التونسية، ص١٥٠.

التدابير الوقائية من أجل الحفاظ على المجتمع في أفضل حال، والنأي به عما يفتك به ويضرّه[١].

وكان من أبرز تلك التدابير التي أوصى بها الأطباء وناقشوها هي قضية **العزل الصحّي**، وأنه من الضروري عزل المرضى والمصابين بالأمراض المعدية، خاصة في أزمنة انتشار الأوبئة، كالجرب والجذام، وكذلك في حال انتشار الطواعين، كي لا تسري هذه العلل بين الناس على نطاق واسع، وقد بيّن ابن الخطيب الغاية من العزل الصحي فقال: "وغير خفي على من نظر في هذا الأمر أو أدركه هلاك من يباشر هذا المريض بهذا المرض غالبًا وسلامة من لا يباشره كذلك، ووقوع المرض في الدار والمحلة لثوب أو آنية، حتى أن القرط أتلف من علق بأذنه وأباد البيت بأسره، ووقوعه في المدينة في الدار الواحدة، ثم اشتعاله منها في أفذاذ المباشرين، ثم في جيرانهم وأقاربهم وزوارهم خاصة، حتى يتّسع الخرق"[٢].

وقد اجتهد أطباء الأندلس بنشر هذه الثقافة الوقائية الصحية بين العامة في المجتمع الأندلسي حتى وعوها وأدركوها، والمبنية على عزل المريض، من ذلك أن جماعة من أهالي مدينة مرسية[٣] قد بعثوا للقاضي ابن رشد يستفتونه

---

(١) زينل، نهاد، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص٦٩-٧٥.

(٢) الرصاع، الأجوبة التونسية، ص١١٤.

(٣) **مرسية (Murcia)**: تقع في الجنوب الشرقي من الأندلس، وهي عاصمة كورة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط، واتخذها دارًا لعماله وقادته، يمرّ بها نهر عظيم، وهي عظيمة الخصب والخيرات ولازالت تشتهر بذلك في العصر الحاضر وتعد من المدن الإسبانية الزراعية والتجارية

في عزل إمام مسجد لهم، بعدما أصيب بمرض الجذام، فكرهوا الصلاة خلفه خشية العدوى، وتذاكروا أنه يدّعي بأن الذي به غير الجذام، إنما هو داء بزعمه، فهل يعرضونه على الأطباء للنظر في حاله حتى يتحققوا من ذلك فيه لعلمهم وثقتهم أن قول الأطباء هو الفصل، ولأن العمل بما يوصون به هو مناط الأمر؛ وهم في ذلك يتكاملون مع القضاة في التوجيه والنصح وفق تخصصهم وما يرونه من مقتضى مجالهم، وقد أكد القاضي ابن رشد على قولهم وضرورة إبعاده إذا تأكد إصابته بذلك المرض(١).

كما نبّه الأطباء على التحرّز من المصابين بمثل هذه الأمراض، والحذر من استخدام أغراضهم، فهي مظانّ للفساد وانتقال العدوى من المريض، كملابسه، أو فرشه، أو آنيته، أو السكنى في داره(٢)، ففي "سوق الخَلَق" بألمرية، الذي تباع فيه الملابس البالية، لقي كثير من مرتادي هذا السوق والباعة حتفهم، لأنهم كانوا يبتاعون ملابس وفرش وحاجيات الهلكى

كما أنها من المدن عتيقة الطراز في عمارتها، ولم يتبق من آثارها الإسلامية غير بعض الحمامات العربية.. الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٩-٥٤٠؛ عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس، ج٨، ص٩٩-١٠٠.

(١) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م) ج٢، ص٧٩٢، ٧٩٣.

(٢) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٥٨، ١٥٩.

بالطاعون، فلم يسلم منهم أحد، وكان ذلك سببًا لتفشي العدوى ونقلها لهم، لذلك حرص ابن خاتمة على التحذير من هذه الأسواق وابتياع مافيها[١].

وقد بيّن الأطباء أن الأوبئة تفتك بالضعفاء وأهل الشظف أكثر وأسرع من غيرهم، لسوء التدبير وعدم التحفظ وقلة التيقظ وفشوّ الجهل، إلى جانب سوء ظروفهم المعيشية، وكثرة الموتى والجنائز بين ظهرانيهم[٢]، فحثّوا الخاصة والعامة على ضرورة البذل والعطاء لهؤلاء المرضى والنظر في أحوالهم، وبالفعل فقد ساهم أهالي الأندلس ماديًّا بما يستطيعون من أموال وأوقاف. من ذلك أحد الميسورين أوقف أمواله على الجذمى والقُطَّع بحضرة قرطبة[٣]، في حين أن أحدهم قد أوقف أمواله على المرضى، والآخر يوقف زروعه وغلة أراضيه في غرناطة على المجذومين والعميان بعد وفاته[٤].

وقد امتدَّ هذا العزل الوقائي ليشمل النظر في حال هؤلاء المرضى من قبل الأطباء، بحيث تخصّص أماكن خاصة لعلاجهم، فيقومون على شؤونهم، إما داخل دورهم، أو في سراديب خاصة تحت الأرض معزولين فيها، ويجب أن تعامَل هذه الأماكن معاملةً خاصةً، منها: رشّ مقدّمات دورهم بالقطران،

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٩.

(٢) ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١١٧، ١١٩.

(٣) البلياني، إصلاح النية، ص٤١؛ الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد الحجي (المغرب: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٩، ص٤٠٥، ٤٠٥.

(٤) المصدر السابق، ج٦، ص٥٠٦؛ ج٧، ص١٨٦.

وداخلها بالخلّ، وتفرَش بالرياحين، وتبخَّر بخشب الطرفاء والسندروس؛ فذلك ممّا يصلحها، ويصلح الهواء داخلها، وينفع بإذن الله[١].

كما ناقش الأطباء قضية **الحجر الصحي** في المدن، وفرض الحصار على المرضى، لخطورة العدوى. كما أرشد المصطفى ﷺ إلى ما ينبغي عمله في حال انتشار الأوبئة كالطاعون، فقال: "الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلهم، فإذا سمعتم به في أرض فلا تَقْدُموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها"[٢]، ويهدف الإسلام بهذا إلى وقاية الأصحّاء وحصر المرض في أضيق حدود، حتى يتيسّر العلاج والشفاء منه، كما أن النهي عن الفرار جاء ليسهم في حلّ كثير من الإشكالات التي قد تقع حين خروج الأقوياء والأصحّاء، ومنها أن الفرار فيه كسر لقلوب الضعفاء والمرضى والعاجزين، ولتعذّر القيام بالمرضى، إذ لم يبقَ من يقوم على تمريضهم، كما أن الخارج قلَّ أن يسلَم من تمكّن الهواء والمرض منه، فلا فائدة من خروجه.

وانطلاقًا من هذا الهدي النبوي الإسلامي فقد نادى الأطباء بضرورة عدم الخروج من المدن التي أصيبت بالطاعون وانتشر فيها، أو القدوم عليها، لما يترتّب على ذلك من مفاسد ومضارَّ[٣]، لذلك فقد حثّ البلياني أهل ألمرية

---

(١) ابن زهر، كتاب الأغذية، ص١٢٦؛ البلياني، إصلاح النية، ص٣٩؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، ج٣، ص١٦٥٨، الحديث رقم ٥٧٢٨.

(٣) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص٢٤٢-٢٤٤؛ ابن الخطيب: مقنعة السائل، ص١١٤، ١١٥؛ الرصاع، الأجوبة التونسية، ص١٥١-١٦١.

على ضرورة زيارة المرضى ومؤانستهم والوقوف على أحوالهم في زمن وباء الطاعون، والاجتهاد في رقية المريض منهم، وخاصةً من لا أهل له، وتلقين الميّت الشهادةَ، والسعيَ في تكفينه وتحضيره لقبره بما يليق وفق الآداب الإسلامية، مع التحرّز والتوكّل على الله، وأنَّ كلَّ شيء خاضع لقدرته ومشيئته(١).

وفي ضوء تلك الوصايا الطبية المنبثقة من هدي الشريعة كان للدولة جهودها البارزة أيضًا في تنفيذ هذه التوجيهات الطبية، والعمل بما أوصى به الأطباء من ضرورة الوقاية، حيث سعت الدولة لتخصيص مواضعَ لأصحاب الأمراض المعدية خارج المدن أو داخلها، وكذلك محاولة السيطرة في زمن تفشّي الأوبئة على تحصين القلاع والحصون من قدوم المصابين بالطاعون ما أمكن، فقد عمدت بعض أهل القلاع والحصون على عزل مناطقها، خاصة في وقت أزمات الطاعون، حتى أنهم كانوا يؤرخون نزول الوباء فيهم بقدوم فلان أو فلانة ممن أصابهم الوباء ومات بين ظهرانيهم، بعدما استصحبوا السلامة زمنًا، وغلبوا في آخر الأمر(٢)، وقد ذكر أن انتشار الوباء في ألمرية كان من قبل حيّ في الركن الشرقي الشمالي منها، يعرف بحي الخوايم، وجلّ سكانه من الفقراء والضعفاء، ثم أخذ في الانتقال إلى بقية أحياء ألمرية حتى عمّها، وانطلق إلى خارجها، فعمَّ الأندلس متدرّجًا من المنطقة الأقرب إلى التي

(١) البلياني، إصلاح النية في المسألة الطاعونية، ص٤٢-٤٨.

(٢) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٥٩.

تليها، ومتدرّجًا كذلك في عدد المصابين، حتى كان يموت فيه في اليوم الآلاف من الهلكى[١].

ومن أماكن الحجر أيضًا مواضع أنشئت خارج أبواب المدن في أرباضها الخارجية، من ذلك ربض المرضى، وربض البرص خارج مدينة غرناطة[٢]، وقد شاع في الأندلس كثرة المجذومين بها[٣]. وفي قرطبة كان هناك حيٌّ خاصّ بالمجاذيم يقع تحديدًا على الضفة اليسرى من نهر الوادى الكبير، الذي تقع عليه المدينة[٤]، استمرّ بها حتى سقوط المدينة بيد النصارى سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م[٥]. وكان هناك أيضًا حيٌّ خاصٌّ بالمجاذيم وأهل البلايا من الأمراض

(١) المصدر السابق، ص١٤٣.

(٢) القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف الطويل (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٨٧م) ج٥، ص٢٠٧؛ بالنثيا، المدن الإسلامية، ص٢٦١، ٢٦٢.

(٣) المقدسي، محمد بن أحمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحرير: شاكر لعيبي (أبو ظبي: دار السويدي للنشر، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) ص٢١٩.

(٤) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٩، ص٤٠٥.

(٥) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أعراب (المغرب: مطبعة فضالة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٢م) ج٦، ص٨٧-٩٠؛ نجلاء النبراوي، ذوو الاحتياجات الخاصة بالمغرب والأندلس (ق٤-٩هـ/ ١٠-١٥م) (نشر موقع الألوكة الإلكتروني، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) ص٢١، ٢٢.

في طليطلة[١][٢]، كما كان بمدينة مالقة ربضٌ للمجاذيم قال عنه ابن الخطيب: "كيف لا يتعلّق الذام ببلد يكثر به الجذام، محلة بلواه آهلة"[3] .

كما اهتمّ الأطباء بضرورة نشر **ثقافة الرقابة الصحية** بين هؤلاء المرضى، لوقاية الأصحّاء ما أمكن، ولحصر المرض في أضيق حدوده، كي لا تعمَّ بلواه، فقد نبّه الأطباءُ المحتسبينَ إلى ضرورة تجنُّب كلّ من يدّعي الطبَّ أو يداوي بالأعشاب، دون علم وسابق معرفة، وطلبوا من المحتسبين محاربة كل من يتجرأ على ذلك، وإيقاع أشدّ العقوبة به[٤]. وقد أشار ابن زهر إلى ذلك الخطر الذي يقوم به هؤلاء، خاصةً حينما يتصدّون لأمراض خطيرة، كالجُدَري، فقد

---

(١) **طليطلة (Toledo)**: مدينة عظيمة حصينة تحيط بها الجبال من جميع الجهات، تقع على ضفة نهر الوادي الكبير، وهي دار الملك بالأندلس قبل افتتاحها، سقطت بيد النصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وطليطلة حتى اليوم تحتفظ بطابعها المعماري العتيق وهي من المدن ذات التراث العالمي، ومن آثارها الإسلامية مسجد باب المردوم وهو من أقدم معالم المدينة الإسلامية شيد في سنة٣٩٠هـ/٩٩٩م وقد حول إلى كنيسة، وفيه تبرز العمارة الإسلامية من خلال قبته وأعمدته ذات الطراز العربي. الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣، ٣٩٥؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس ،ج٨، ص٨٨، ٨٩.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٨، ص١٥٢، ١٥٣.

(3) لسان الدين محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة: محمد كمال شبانة (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ج١، ص٩١.

(٤) ابن رشد، الكليات، ص٥٣٦؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٩٥؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٦٢.

ناله نفسه في صغر سنّه من هذا الأمر شدّة كادت تفتك به، حينما أشار بعض الجهّال على أهل بيته بإطعامه العسل، حينما أصيب بالجدري، فيقول: "وقد جدرت وأنا صغير جدًّا، فأُطعِمت عسلًا، وأذكر العسل وأذكر ما أصابني بعقبه من العذاب الشديد"(١)، كما حُدِّدت لهؤلاء المرضى مواضع معيّنة لاستحمامهم وغسلهم، عرفت بمغاسل المجاذيم(٢)، كما مُنعوا من ورود الماء الذي يستخدمه عامة القوم فيدلوا فيه أوانيهم وأكوابهم للاستسقاء والوضوء لأن ذلك مما يضرّ بالأصحّاء ومدعاة لنشر المرض لذلك وضع لهم رجلًا مهمّته سقايتهم ومناولتهم الماء دون مساسهم به(٣).

وسعى الأطباء لمحاصرة الطفوحات الجلدية الناقلة للعدوى من خلال التنبيه لأهمية عيون المياه الساخنة والمعروفة بالحمّات(٤)، كوسيلة وقائية

(١) ابن زهر، التيسير، ص٢٢١؛ ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة، ص٤٧؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٦٢.

(٢) النباهي، المرقبة العليا، ص٨٩.

(٣) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٤، ص٤٢٢.

(٤) الحمات: من أشهر المشافي الطبيعية التي وفّرتها بيئة الأندلس ما يعرف بالحمّات (جمع حمّة)، وهي ينابيع مياه معدنية ساخنة معدنية، تكوّنت بفعل تجمُّع المياه في باطن الأرض، ومن ثم التصاقها بعدد من المعادن التي تغدو جزءًا من تكوينها، وقد أشار بها الأطباء علاجًا لمرضاهم، خاصةً من كبار السنّ والمبرودين وأصحاب العلل الجلدية، فهي تشفي من الأمراض، وتزيد من مناعة الجسم. كما أنها تجلو الجلود، وتنفع من سيلان الطمث والرطوبة، وتشفي أصحاب العلل الجلدية، وكل هذا بإذن الله. ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ص١٤٧؛ السقا، محمد، العلاج بالماء، (الرياض: دار الألوكة للنشر، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) ص١٤-١٥.

وعلاجية ذات دور مهمّ في الحفاظ على الصحة العامة للبدن من خلال استفراغه من السموم والأخلاط، كما أنّها تعدّ من أبرز السبل والعلاجات التي شجّع الأطباء مرضى الطفوح الجلدية عامةً على الطبابة بها، ولتلك الأهمية فقد سعت حكومات الأندلس بتوجيه من الأطبّاء لتعمير هذه الحمّات والإشراف عليها وتوفير سبل العناية بها للاستشفاء ما أمكن(١)، ففي بجانة(٢) كانت هناك حمّـة مشهورة بها عينان ساختنان عُرفتا بعذوبة مياههما وصفائهما ونفعهما، حيث إنه يزورهما أهل العاهات والأسقام فلا يعدَمون بركتهما. العين الأولى: يمين بجانة، على بعد ثلاثة أميال من جبلها، ويحتوي ماؤها على معدن الكبريت، قال عنها البلاذري: "إنه ما مثل هذه الحمّة في المعمور من الأرض، ولا أتقن منها بناءً، ولا أسخنَ ماءً"(٣)، وللإفادة من هذه العين الساخنة سعت الدولة إلى بناء صهريج ماء بجانبها ليدفع بالمياه بعد أن يمتلئ إلى أحواض صغيرة مخصّصة للعلاج. والعين الثانية يحتوي ماؤها على معدن النحاس، وتقع وسط مدينة بجانة، وقد يقصدها المسافرون، ويقيمون بها للاستشفاء من عللهم، ويتولّى بعض من العارفين ممن جعلتهم

---

(١) ابن زهر، كتاب الأغذية، ص١٠٥، ١٢٧؛ ابن رشد، الكليات، ص٤٨٩-٤٩١؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٦٦-١٦٨؛ ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ص١٤٧.

(٢) **بجانة (Pechina)**: تقع جنوب شرق الأندلس بينها وبين المرية خمسة أميال .. الحميري، الروض المعطار، ص٧٩، ٨٠.

(٣) الإدريسي: محمد بن محمد الحسيني (ت ق٦هـ/١٢م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ج٢، ص٥٦٦.

الدولة المرابطية في هذه الحمّة الإشراف على هؤلاء المرضى، حيث بنوا غرفًا يسكنها من قدم للعلاج والاستشفاء، مقابل مبلغ معلوم بلغ في فترات ثلاثة دنانير مرابطية قد تزيد أو تنقص في أثناء فترة البقاء للاستشفاء(١).

كذلك عمرت عدد من الحمّات ونظّمَ العمل الاستشفائي فيها، كما في مدينة لشبونة(٢)، فقد توسّطَ المدينةَ عددٌ من الحمّات الحارّة في الشتاء والصيف، وإليها يَقْدُم كثير من أهل الأندلس للاستشفاء(٣)، وأيضًا حمّة بلش. وقد اشتهرت هذه الينابيع بمياهها النافعة والمفيدة للمرضى والمعتلّين، وقد بلغت هذه الحمّة الغايةَ في التنظيم، فكان بها بيت ماء ساخن خاصّ بالرجال، وآخر خاصّ بالنساء(٤). وكذلك حمّة لكّة(٥)، التي وصفها الحميري

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٧٩-٨٠.

(٢) **لشبونة (Lisboa)**: مدينة من كورة باجة المختلطة في غرب الأندلس، تقع على ساحل البحر المحيط وعلى مصب نهر الوادي الكبير، ولشبونة لازالت تحتفظ بتراثها الإسلامي حيث لازال القسم الشرقي منها يعرف باسم(الفاما) وهو لفظ محرف للحمة (الحامة) وهو الموضع الذي توجد به المياه الحارة، ويقوم حي الفاما على ربوة عالية وهو يشبه قصبات المدن المغربية وشوارعها الصغيرة والمرصوفة ومنازله التي تضم رحبات وعلى قمة الربوة حصن مرمم يكشف عن طابع معماري إسلامي، بدا في بعض أجزائه وكأن الأيام لم تمض والحقب لم تتغير.. الحميري، الروض المعطار، ص٦١؛ مؤنس، رحلة الأندلس، ص٤٠٢-٤٠٤

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٧.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٧.

(٥) **وادي لكة (Guadalete)**: في جنوب الأندلس، من أعمال كورة شذونة، وهي منطقة سهلية، قديمة البنيان، وقعت على ضفاف واديها معركة وادي لكة بين طارق بن زياد ولذريق

لشرف دورها العلاجي ومكانتها لدى أهل الأندلس، وأنها من أشرف حمّات الأندلس، وما ذاك الشرف إلا لحسن تنظيمها وتدبيرها من قبل القائمين عليها[١].

ثالثـًا: الضوابط البيئية:

اعتنى أطباء الأندلس بالتدابير الوقائية المتعلّقة بالحفاظ على البيئة الأندلسية، لعلمهم بدورها الرئيس في تكوين الأوبئة وحدوثها، كما دوّنوا في مؤلفاتهم كثيرًا من الضوابط الصحية الوقائية والعلاجية للأفراد، وربطوها بالظواهر البيئية المسبّبة لحدوث الأوبئة، وتناولها بالتفصيل والعناية.

عرض أطباء الأندلس لمسبّبات الأوبئة البيئية وكيفية حفظ الصحّة في مثل تلك الظروف، وذكروا أن أهمّ مسبّبات الأوبئة والأمراض هو فساد الهواء، فعلّلوا أن تلوّث جوهر الهواء هو العامل الرئيس في تكوّن الأوبئة والأمراض. ويسمّي ابن زهر هذا النوع من الوباء بـ"الوباء الهوائي"[٢]، وتنبع خطورته من أنه العامل الأساسيّ لحياة الروح والبدن، ويشترك جميع الناس في استعماله، فليس أحد إلا يتنفّسه ويورده على بدنه، فإذا كان فاسدًا عمَّ المرض أهل

ملك القوط في العام ٩٢هـ، وقد كان النصر فيها حليفًا للمسلمين، مما هيأ دخول الإسلام إلى الأندلس واستكمال فتحها. الحميري، الروض المعطار، ص٥١١.

(١) المصدر السابق، ص٥١١.

(٢) التيسير، ص ٢٧٣.

ذلك البلد[١]. ومن أجل ذلك أجمع الأطباء أنه يجب حماية جوهره، بألّا تزيد إحدى عناصره على بعضها، ولا تزيد على مقدارها الطبيعي أو تنقص عنه، وكذلك لا يمتزج ولا يخالط ما قد يفسده؛ مما قد يؤثّر في البيئة والإنسان، فتغدو هي الأخرى كدرّة فاسدة[٢]، فيذكر ابن خاتمة في كيفية فساد الهواء وتعفّنه: "وذلك بأن ترتفع أبخرة فاسدة متعفّنة من السباخ والبطائح المتغيّرة المياه والخنادق والآجام[٣] السرية الراكدة الهواء...، وأقذار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملاحم والدوابّ التي أصابها الموتان، ونحو ذلك مما يحدث البخارات المتعفّنة، فيتغيّر الهواء عنها ويتعفّن..."[٤].

كما يذكر الغافقي بعض العوامل المفسدة للهواء والمؤدّية لحدوث التلوّث وانتشار الأوبئة، فيقول: "إنه متى ما كان التصرف في مواضع فيها آجام أو مناقع الكتان أو بقول أو شجر عفن، والقعود في المغارات والبيوت العفنة، والأسراب وغير ذلك مما يعفن الهواء؛ فإن أهل تلك المواضع تكون فيهم الأمراض بحسب ذلك البخار"[٥]. وتنفّس مثل هذا الهواء الخارج عن

---

(١) ابن زهر، الأغذية، ص١٢٦؛ ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ج١،ص١٣٧؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١٠.

(٢) الغافقي، المرشد في طب العين، ص٩٨؛ ابن زهر، الأغذية، ص١٢٦، ١٢٧؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٣٢.

(٣) الآجام مواضع الشجر الكثير الملتف .. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٨.

(٤) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٤٠.

(٥) المرشد في طب العيون، ص١٠٤.

الاعتدال يحدث أنواعًا من البلايا، مثل الرمد والسعال والبحح وانبعاث الدم، إضافة إلى بعض الحميات الدقيقة التي يصعب الخلاص منها، كالجرب والأورام الطاعونية والتعفّن[١]، وقد ذكر الأطباء حال بعض الأهوية التي تكون الأمراض أكثر تفشّيًا فيها عن غيرها، وتكون هذه الأمراض فاشية وشاملة وأكثرها فتكًا من ذلك، حينما يشتدّ الحرّ بما لا يعهد ويعمّ القحط، وإذا ما كان الهواء حارًّا رطبًا طوال العام فتدبّ العفونة فيه، خاصة إذا كان راكدًا[٢].كما أن الهواء الوبائي يؤثّر في النباتات والأشجار والثمار، فيصيبها بالسقم والعفونة، وتحمل صفة الوباء، لذلك تبطل منفعتها وتصيب من يتناولها بالمرض والسقم.كما تضرّ الحيوانات بما تعتلفه من نبات فاسد، ويضرّ من يأكلها من الإنسان فتظهر عليه الحمّيات العفونية والطواعين[٣].وقد أشاد الأطباء بالرياح الشمالية، وأنها مما يحفظ الجسم من العفونة، ويقيه من التعرّض لما قد يضرّ مزاجه[٤].

وكذلك من مسبّبات الأوبئة التي تحدّث عنها الأطباء هي فساد المياه، حيث يتغيّر الماء ويتعفّن حين خروجه عن مزاجه الطبيعي في كيفياته[٥]، وقد

---

(١) ابن زهر، التيسير، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٢) ابن زهر، الأغذية، ص١٢٨؛ التيسير، ص٢٦٨، ابن رشد، المزاج، ص٨٦.

(٣) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٣٨.

(٤) ابن زهر، الأغذية، ص١١١؛ التيسير، ص٢٦٨؛ ابن رشد، المزاج، ص٨٧؛ ابن الخطيب، معيار الاعتبار، ج١، ص١١٧.

(٥) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٣٤.

حرص أطباء ذلك العصر على ذكر أنواع المياه التي يجب تجنّبها لرداءتها، ولما قد تحمله من ضرر نتيجة خروجها عن مزاجها الأصلي وتغيّر جوهرها، مثل مياه العيون التي تنحدر جهة الجنوب؛ ومما يزيد في رداءتها هبوب الرياح الغربية عليها، مياه البطاح والآجام والبحيرات قريبة القعر، الراكدة الكثيرة الكدر، فهي للعفن أقرب، خاصة إذا ركدت عليها الأهوية الوبائية المتعفّنة، وساعدتها الأشعة الفلكية المناسبة لذلك التغير؛ مما يفسد الماء ويجعله وبائيًّا، فيسبّب الحمّيات الدقيقة والأورام الطاعونية، كما يكون سببًا لفساد الكبد والطحال والأحشاء[١]. وأيضًا مياه الآبار لاحتقانها ومخالطة مياهها للتربة واستعدادها لقبول الفساد، وأشدها شرًّا هذه الآبار هي التي تجري مياهها في قنوات وأنابيب من رصاص، فهي مضرّة بالأمعاء، مفسدة لها[٢]، وأكثرها ضررًا من مياه الآبار مياه (النــزّ)، وهي المياه العكرة المجتلبة من الأراضي الرخوة الرديئة المتعفّنة[٣].

إضافة إلى فساد الهواء والماء فإن فساد الأغذية يعدّ من الأسباب البارزة، كما ذكر الأطباء، حيث تحدُث أمراض رديئة وحمّيات عفونية، فإذا اتّفق أن

---

(١) الكرجي، محمد بن الحسن (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، أنماط المياه الخفية (حيدرآباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) ص١٧؛ الغافقي، المرشد في طب العين، ص١٤٤؛ ابن زهر، الأغذية، ص١١٢؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٣٤-١٣٥؛ ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ج٢، ص١٤٧.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٤٦.

(٣) الأزدي، كتاب الماء، ج١، ص١٠١؛ ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ج٢، ص١٤٦.

اصاب بلدًا ما مجاعةٌ واضطرّ أهلها إلى تناول بعض الحبوب غير المألوفة كغذاء، أو المصابة بالعفن والفساد، فتفسد لذلك أمزجتهم، وتتغيّر طباعهم، ويكثر فيهم المرض والموت(١).

وذكر الأطباء عدّة تدابير للعناية والوقاية، حين تغيّر الظروف البيئية وفسادها، وهي في الجملة تقوم على الوقاية ومنع أسباب العفونة، فذكروا أن التعرّض للهواء الذي قد أفرط في درجة الحرارة قد يسبّب الضعف والذبول واليبس؛ مما يكون سببًا في يبس الأعضاء وتهتك عروق الرئة، فيقع الناس في مرض السلّ وغيره من البلايا؛ لذا يجب أن يتدارك الطبيب الحال، ويحثّ على أن ترطّب الأبدان وتبرد، بالدخول في مواضع المياه المعتدلة، إضافة إلى الاغتسال بالماء البارد وسط النهار، والحرص على شمّ الروائح العطرية الزكية، كالبنفسج ونوار القرع، وزهر النيلوفر، ومما ينفع دهن الأجساد بالزيتون العذب مضروبًا بمثله ماء عذبًا، ويمسح الصدر بالصندل(٢)، والكافور(٣)،

(١) ابن زهر، الأغذية، ص١٢٧؛ التيسير، ص٢٧٤؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٤٠.

(٢) الصندل خشب طبي عطري نافع لضعف المعدة والصداع ومفيد للحميات الحادة.. الأزدي، كتاب الماء، ج٢، ص٤٥٨.

(٣) الكافور نبات طيب الرائحة يوجد في أجواف الشجر، وينفع للمحرورين ويقطع الرعاف وهو نافع من لسع الهوام.. الأزدي، كتاب الماء، ج٣، ص٢٨١..

ويعلّق عليه من اعترضه الذبول واليبس ستورًا من الكتّان مبلولة بالماء، وأن يرشّ عليهم بماء الورد وماء التفّاح[١].

ومن التدابير التي أشار بها الأطباء في مثل هذه الأزمنة أن يتقدّم الإنسان، فيصلح من مزاج الهواء بما أمكنه، باستخدام ما يجفّف ويرطّب ويمنع العفن، كالقطران واللاذن والمسك والزعفران، كما يحرق خشب الطرفاء، فإن دخانها يصلح كثيرًا من فساد الهواء، والتبخير بما يمنع العفونة، كالعود، والعنبر، والسندروس، والقسط[٢]، والكندر[٣]، والميعة[٤]، وأن يرشَّ أمام المنزل كله بالقطران، وأن تملأ البيوت من داخلها تفاحًا ونيلوفرَ وبنفسجًا ما أمكن، وأن يكثر من شمّ رائحة الطيوب، فلها خاصية في مقاومة الوباء، وأن

(١) ابن زهر، الأغذية، ص١٢٨؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٥٨؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١٠، ١١.

(٢) القسط نبات خشبي منه العربي وهو البحري الأبيض والهندي الأسود، وله منافع طبية منها: أنه يفتت الحصاة، وينفع من برد المعدة، ويفتح سددها ويقويها.. الأزدي، كتاب الماء، ج٣، ص٢١٣.

(٣) الكندر من أنواع العلك يقوي الذهن والمعدة، ويحسن الحفظ، ويقطع القيء.. الأزدي، كتاب الماء ،ج٣، ص٢٩٤.

(٤) الميعة صمغ يسيل من شجرة كالمشمش طيب الرائحة وله فوائد طبية فهو نافع للسعال ومن الريح الغليظة والسموم.. الأزدي، كتاب الماء، ج٣، ص٣٩٤.

يكثر من شمّ ماء الورد مع الخلّ، ومن شمّ الآس، وأن يتدبّر بالأغذية الباردة اليابسة[١].

وقد أشار الأطباء إلى أنه يفضّل تقليل الطعام والشراب في أزمنة الوباء؛ لأن الطعام والشراب حينها وبائيٌّ في أصله، ومما يفضّل تناوله الحوامض والمجفّفات، كالعدس والخلّ، ويعتمد على خبز الشعير المعجون بالماء، مع يسير خلّ، وإن خلط بهما يسير عسل فذلك جيّد جدًّا[٢].

كما أن الصوم يومًا في ثلاثة أيام من الأمور المستحبّة في مثل هذه الجوائح وكذلك شرب الترياق الفاروق[٣]، فهو حافظ عظيم من الأمراض والأوبئة. ولدفع ضرر المياه الرديئة والوبائية أشار الأطباء إلى أكل البصل، أو الثوم، أو الرمّان المرّ أو الحلو، أو أكل الكزبرة اليابسة في الطعام، والليمون، والحصرم[٤]، وقشر الأترج[١] وحبوبه نافعة بإذن الله، ومن المشاريب النافعة

---

(١) ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ج١، ص١٠٨، ١٠٩؛ الشقورين النصيحة، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) ابن زهر، الأغذية، ص١٢٦، ١٢٧؛ التيسير، ص٢٦٩، ٢٧٠؛ ابن رشد، الكليات، ص٥٩٥؛ خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٦١؛ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١٢١؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٦٠، ٢٦١.

(٣) الترياق الفاروق دواء يركب من جلود الأفاعي وهو يقاوم السموم جميعها وهو مركب حار.. ابن زهر، التيسير، ص١٣، ١٤؛ الأغذية، ص٨٩.

(٤) الحصرم أول العنب، وهو مقوي للمعدة، مسكن لحدة الدم، الاكتحال بعصارته يقوي البصر، الأزدي، كتاب الماء، ج١، ص٤٦٥.

شراب (السكنجبين)، وهو الماء مع العسل والخل، والألبان الحلوة والمالحة، وشراب الأترج قد ينفع لمثل ذلك[٢]. ويجب التحرّز مما يثير الحرارة ويثور بالأخلاط من أغذية وأبخرة، كما يجب تجنّب التعرّض لضوء الشمس وحرارتها والسموم ومواقد النيران، وما يشعل حرارة الأبدان،فيجعلها قابلة للعدوى [٣].

رابعـًا: الضوابط العمرانية:

في سبيل الحذر من وقوع الأوبئة أورد أطباء الأندلس عددًا من التدابير التي تتناول موضوع الوباء والضوابط العمرانية، التي من شأنها الحفاظ على الصحة ووقايتها قبل معاصرة هذه الجوائح وفي أثنائها. ومن أبرز تلك التدابير ما يتعلّق بضرورة العناية باختطاط المدن، وتأكيد أهمية اختيار المواضع العالية البقاع، المفتوحة من شمالها، حيث تتلقّاها الرياح الشمالية التي تتميّز بالحرارة واليبوسة، ومن ثَمَّ فهي تمنع تكوّن الرطوبات والعفن[٤]. وفي هذا الباب يذكر ابن خلدون: "سبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة

---

(١) الأترج نوع من الرياحين له خاصية في علاج العلل البلغمية السوداوية وهو يفتح السدد ويطيب النكهة.. الأزدي، كتاب الماء، ج١، ص٢٩٤.

(٢) ابن زهر، التيسير، ص٢٧٢-٢٧٤؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٨٧؛ ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة، ج١، ص١٤٨؛ الشقورين النصيحة، ص٢٦١؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١٦.

(٣) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٦١.

(٤) ابن زهر، الأغذية، ص١١١؛ التيسير، ص٢٦٨؛ ابن رشد، المزاج، ص٨٧؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٤٩.

العمران...، ولهذا تبيّن في موضعه من الحكمة أن تخلّل الخلاء والقفر بين العمران ضروريّ، ليكون تموّج الهواء، ليذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح"[١]، وقد أكّد الأطباء هذه القضية، وذكروا أن ازدحام العمران وتراكم المساكن سببٌ رئيسٌ لفساد الهواء واستعداده لقبول العفونات، لذلك كان للأطباء توجيه مهمّ في التدابير الخاصة باختيار مواضع الدور، فأكّدوا أهميّة أن تستقبل الدور الشمال، وأنها تكون أكثر صحّة لساكنيها، أمّا الجنوبية فهي جالبة للأمراض، كما حذّروا من مجاورتها للآجام أو برك المياه الراكدة، أو مناقع الكتّان والبقول أو الثمار ذات البخارات الرديئة، أو مواضع تكدّس الأزبال[٢]. ومن التدابير التي أكّدوها عليها أيضًا أن تكون التهوية مستمرّة بين الطرقات، ويسمح بعبورها، فلا تمنع بسدّ الدروب، ولا بعمارة السواتر، كما ليس لأحد أن يعليَ جدران أسطحه، فيمنع مهبّ الريح عن جاره[٣]، كما نبّه الأطباء من مغبّة السكن في دور من أصابتهم الأوبئة أو مجاورتهم[١].

(١) المقدمة، ص٣٠٢.

(٢) ابن زهر، الأغذية، ص١٢٧؛ الغافقي، المرشد في طب العين، ص١٠٤؛ ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة في الفصول، ج١، ص١٤٠.

(٣) ابن هشام القرطبي، أبو الوليد هشام بن عبد الله (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام، تحقيق: سليمان بن عبد الله أبا الخيل (الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ج٢، ص٣٠٥؛ ابن الرامي، محمد اللخمي (ت ق٨هـ/١٤م)،

وقد ظهرت عناية الأندلسيين وحرصهم على النظافة والطهارة في استحداثهم أماكنَ مناسبةً للطهارة والخلاء، ودمجت في دورهم، وعرفت بـ"كراسي الحدث"، وقد نبّه ابن زهر على ضرورة عدم ترك المياه فيها، كي لا تحدث العفونات الجالبة للحمّيات(٢). أما في داخل الدور فقد أسهب أطباء عصر الدراسة في ذكر عدد من التدابير الواجب الأخذ بها قبل حلول وباء الطاعون أو عند وقوعه، من أجل تفادي الإصابة به، منها: أن يرشَّ خارج المنزل وداخله بالقطران، وينضح داخله بالماء الممزوج بماء الورد والمخلوط بالخلّ، ثم يبخّر بالصندل حتى يعلَق البخور في الحيطان المبلّلة، كما تبرد بالرياحين الباردة وأطراف الشجر البارد، وأن يزرع في فنائه أزهار النيلوفر والبنفسج والآس والتفاح وورق الكروم، وتزال هذه الخضر على رأس كل ثلاثة أيام، إلى جانب معاودة تبخير المنزل بالطرفاء والسندروس والكندر والمرّ والمصطكى؛ فإنها تُصلِح الهواء العفن واليابس وتدفع الوباء(٣).

الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق: فريدة سليمان (تونس: مركز النشر الجامعي، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ص٧٢-٧٤.

(١) ابن زهر، الأغذية، ص١١١؛ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١٠٩، ١١٤.

(٢) كتاب الأغذية، ص١١٢؛ الونشريسي، المعيار المعرب، ج٦، ص٦٦؛ الطاهري، أحمد، البناء والعمران الحضري بإشبيلية العبادية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ص١٨٧.

(٣) ابن زهر، كتاب الأغذية، ص١٢٨؛ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١٠٩، ١٢١؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٥٧؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١١.

كما نبّه الأطباء على ضرورة الابتعاد عن مواقد النيران، وأن تهجر البطائح والسباخ والوهاد والابتعاد أيضًا عن التعرّض للسّموم الحارّة والشمس؛ لأن ذلك يزيد من الحرارة الغريزية، فيجفّف البدن وييبسه؛ مما يجعله مهيّأً للإصابة بالوباء، أو نزول العلّة به، ويضادّ ذلك تبريد الجسم بالاغتسال وسط النهار، واختيار الجلوس في الغرف العالية المقابلة لهبوب الرياح الشمالية والمواضع المعطّرة بالرياحين والشموم الطيبة، بالإضافة إلى الميل للسكون في المنازل وعدم الإكثار من الحركة خشية العدوى، ولكي لا يرتفع النَّفَس ولا تشتعل حرارة الجسم؛ مما يستدعي زيادة استنشاق الهواء المتغيّر والموبوء(١).

خامسًا: الضوابط الدوائية:

لم يَخْلُصْ أطباء الأندلس للتشخيص العلمي لوباء الطاعون وكيفية علاجه الناجع، غير أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل بذلوا كلَّ السبل من أجل إيجاد الحلول المختلفة للحيلولة دون تفشّي هذا المرض، فقدّموا الحلول الدوائية المختلفة، مستهدفين أحد أمرين: الأول: تدبير الأصحّاء وحفظ صحتهم دون أن يتطرّق لهم المرض، والثاني: تدبير المرض أيًّا كان ليزول ويرتفع عمّن أصابه(٢)، وقد عمدوا إلى تجاوز استخدام العقاقير بصورتها الأصلية، وهي ما

(١) ابن رشد، الكليات في الطب، ص٤٩٥، ٤٩٦؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٦١، ١٦٢، ١٦٦؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٥٨، ٢٥٩؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١١.

(٢) الشقوري، النصيحة، ص٢٦١.

تعرف بـ"الأدوية المفردة" ذات المنشأ النباتيّ، أو الحيوانيّ، أو المعدنيّ، إلى "الأدوية المركّبة"، والممزوجة بأكثر من عنصر دوائيّ وفق كمّيّات معيّنة. وقد حدَّدت طبيعة المرض وطبيعة الجسم السبيل لاستخدام الدواء مفردًا أو مركّبًا، إذا ما دعت الضرورة في بعض الأحيان إلى تركيب دواء من عدّة أدوية مفرَدة، حتى يقاوِمَ المرض(١).

وقد تنوّعت التدابير الدوائية التي نصح بها الأطباء في حال الأمراض الوبائية، فمنها الأدوية الوقائية التي يكون بها حفظ الصحة. وقد نصَّ عليها الأطباء في مؤلفاتهم وحثّوا على استخدامها تحفّظًا وتحرّزًا منها: رُبّ(٢) الفواكه، ورُبّ الحصرم، وربّ الرمّان، مفردة أو مجموعة، لعقًا، وكذلك رُبّ الورد السكّري، ورُبّ التفاح الحامض والحصرم مجموعًا، ويؤخَذ لَعقًا، والسكنجبين الرمّاني بماء التمر الهندي والسكنجبين، وأقراص الكافور برُبّ الأترج، وأشادوا كذلك في التحفّظ من الوباء باستعمال الترياقات المشهورة، وهي: الترياق المثروديطوس، المتّخذ من الزعفران والصبر والمرّ، ويتّخذ منه كل يوم قريبًا من درهم(٣)، كما ذكر ابن زهر عددًا من المركبات الدوائية المفيدة في مثل تلك الأزمنة وفي علاج الأمراض، ووصفها بطرقها وكيفية اختبار جودتها،

---

(١) ابن بكلارش، يونس بن إسحاق (ت٥٠٠هـ/١١٠٧م)، المستعيني، تحقيق: محمد العربي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م)، ص٣١٤؛ ابن رشد، الكليات، ص٤٥١.

(٢) الرب هو عصارة الثمرة بعد طبخها مما ينتج عنه طلاء خاثر.. الأزدي، كتاب الماء، ج٢، ص١٥٤.

(٣) ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص١٢٠؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٦١.

منها: الترياقات[١] ومن أشهرها: الترياق الفاروق، الذي عالج عددًا من العلل منها الجذام والأورام، وبه وقاية ودوام للصحة، فهو من أهمّ ما يتحرّز به في أزمنة الأوبئة، وقد عدّه أطباء الأندلس من أنفع ما ألّفه القدماء[٢]. إلا أن ابن رشد كان يشير على أبناء الخلفاء من الموحّدين بعدم المداومة على استعماله كحافظ للصحة؛ إذ يرى أن له خواصَّ الدواء، وأن المداومة على شربه قد تضرُّ بالبدن أكثر مما تنفع[٣]، كما أن الأقراص تعدّ من الأدوية الأكثر نفعًا، والأسهل استخدامًا في السفر خاصة[٤].

وقد عالج أطباء الأندلس عددًا من الأمراض بصنعهم أقراصًا دافعةً للمرض، جالبةً للصحة، من هذه الأمراض: السعال، والقروح، والأورام، والنقرس، وعرق النسا، والصداع، والشقيقة[٥]، وصنعوا كذلك معاجين من

---

(١) التريقات: وهي أدوية لكل الأمراض السمّيّة خاصةً، وللأمراض عامةً، والترياق كالمضادّ الحيويّ، حيث يَأخذ من جميع القوى الموجودة في الأدوية المفرَدة الواقعة فيه.. الغافقي، المرشد في طبّ العين، ص٤٧٢؛ ابن رشد (الحفيد)، محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٩٥هـ/١١٩٩م)، كتاب الترياق، تحقيق: جورج شحاتة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٣٨٩؛ الشقوري، المجربات، ص٤٣٤.

(٢) ابن زهر، الأغذية، ص٨٩؛ التيسير، ص١٣، ١٤؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١٣.

(٣) كتاب الترياق، ص٣٩٧.

(٤) محمد حسين، الموجز في تاريخ الطب، ص٣٧٥.

(٥) ابن زهر، التيسير، ص٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٢-٣٠٤؛ الغافقي، المرشد لطب العين، ص٤٦٩، ٤٧٣.

المركّبات الحافظة للصحة، وهي على هيئة كُتَل ليّنة تحوي موادَّ طبيةً وموادَّ لتحسين النكهة، مخلوطةً بالعسل أو عصير الفواكه المسكَّر، وتؤكَل أو تُذاب في الفم. ومن أشهر المعاجين التي داوى بها الأطباء معجون العود الهندي، الذي يستعمله الملوك، وهو حارّ يابس يجفِّف رطوبة المعدة، ويقوّيها، وينفع للكبد وسائر البدن. وذكر ابن زهر عدّة معاجين لحفظ الصحة ووقايتها، منها: معجون المثروديطوس، والفربيون[١][٢].

وقد شدّد ابن منظور القيسي على ضرورة التنبّه لتناول الأدوية والأعشاب، فإن كان الدواء مركّبًا فلا يؤخَذ إلا من طبيبٍ عارفٍ متخصّصٍ، وإن كان عشبةً أو مفردًا فليكن محتفظًا بمزاجه، غير متغيّر لقدم عهد وطوله، فرُبَّ دواء بقي اسمه وزال نفعه، كما نبّه إلى ضرورة العناية بالأواني والأدوات التي تصنع بها الأدوية، أو تحفَظ فيها، لكي لا تجلب الضرر والمرض على من تناول ما بها[٣].

ومن التدابير التي أشار إليها أطباء الأندلس ونصحوا بها لحفظ الصحة عمومًا استفراغ البدن مما قد يعكره من الأخلاط، في حال نزول الوباء، ومن

---

(١) معجون الفربيون يعد من الترياقات وهو في الأصل أحد أدوية ترياق المثروديطوس، وهذا المعجون مشتق منه، وهو مركب حار يابس، يعالج ويفتح سدد الأحشاء في سائر البدن.. ابن زهر، الأغذية، ص٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص٨٤-٨٩؛ الغافقي، المرشد في طب العين، ص٤٦٥، ٤٦٦؛ الشقوري، المجربات، ص٤٣٢.

(٣) وصية الناصح، ص٢١.

ذلك أيضًا تسهيل الطّبع بالمليّنات، لما في الاحتقان من توافر الأبخرة العفونية داخل الجسم وتكدير الروح وسقوط الشهوة، ويكون ذلك بالمشاريب المعدّة من أجل ذلك، كطبيخ التمر الهندي، والرواند، واللبلاب، والإجاص، والنرجس، وعود السوس، والعناب، وزهر البنفسج، أو استخدام بعض الحقن المليّنة المفيدة لذلك، كما أشاروا بضرورة تنظيف المعدة وتناول شراب السكنجبين بالماء الساخن، وكذلك تخفيف الدم بشق العروق والحجامة من غير توقٍّ ولا حذر، إذ إن الوباء يحدِث زيادةً في كمّية الدم خارجة عن المعتاد، لذلك ينبغي تعاهد الدم بالاستفراغ بالحجامة، على حسب كل إنسان، ولو مرّة عند توسّط الشهر، وإن ساعدت القوة والعمر الشخص فلا بأس من مرتين أو ثلاثًا[1]. وشدّد الأطباء على أن التدبير بالفصد والحجامة يكون في أول الاصابة بالمرض، أما في حال تمكّن المرض، أو في حال الإصابة بسائر الحمّيات غير الطاعون، فالفصد بعد وقوعها إما مهلِك ألبتة، أو هادم للقوة ومضعِف لها حتى لا يقوى المريض على مغالبة المرض؛ مما قد يهلكه بالجملة[2]. ويذكر ابن خاتمة في منفعة استفراغ الدم ما شاهده لما كان يطبّب الناس في وباء ألمرية عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م: "وقد وقفتُ من أحوال الناس في

(١) ابن زهر، كتاب الأغذية، ص١٢٧؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٦٦-١٦٨؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١٢-٧١.

(٢) ابن زهر، الأغذية، ص١٢٧؛ ابن رشد: الكليات، ص٤٩٥؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٤٦، ١٤٧؛ الشقوري، النصيحة، ص٢٦٠، ٢٦١؛ ابن منظور القيسي، وصية الناصح، ص١٧.

استفراغ الدم وتجاسرهم عليه وانتفاعهم به في هذا الحادث على أمور عجيبة وأحوال غريبة، فرأيت جماعة ممن استفرغ في مرّات لحفظ صحته بطول استمرار هذا الحادث إلى الآن ثمانية أرطال وسبعة أرطال، ونحو ذلك. وأما عامة الناس فاستفرغوا من خمسة أرطال إلى ما يليها"[١]. في حين أن ابن منظور القيسي يوصي بألّا يكون الفصد إلا بمعونة طبيب مختصّ وتحت إشرافه لتجنّب الضرر[٢].

(١) تحصيل غرض القاصد، ص١٦٨.

(٢) وصية الناصح، ص١٧.

الخاتمــة:

بعد هذا العرض التاريخي الحضاري توصّلت الدراسة إلى عدد من النتائج، تجمَلُ فيما يلي:

- الإسلام هو أول دين ونظام مجتمعي وضع دستورًا ومنهجًا إجرائيًّا (بروتوكول) لما يعرف بالتدابير الوقائية، للحفاظ على صحة البيئة والفرد والمجتمع، وهو ما يعرَف في عصرنا الحديث بـ"الطب الوقائي"، إذ استهدفت أحكامه وتشريعاته وقاية الفرد والمجتمع من الأمراض العضوية والنفسية والاجتماعية.
- برزت خلال الجوائح البيئية جهود أطباء الأندلس وغايتهم وهدفهم الأسمى، وهو ليس فقط تخفيف الألم والمعاناة عن المرضى، بل كان يسبق ذلك الاهتمام بالأصحّاء وكيفية وقايتهم من الأمراض والأوبئة.
- ظهرت عناية أطباء الأندلس بالطب الوقائي كفرع من العلوم الطبية، منذ القرن السادس حتى نهاية الثامن الهجريين، إدراكًا لأهميته وأسبقيته للطبّ العلاجي. وقد برز ذلك من خلال تدوين المؤلفات الطبية المهتمّة بموضوع حفظ الصحة، وموضوع الوقاية من الأمراض الوبائية، وهم بذلك يعتبِرون هذا الفرع من الطب على رأس العلوم الطبية.
- أظهرت الدراسة تكاتف المجتمع الأندلسي، بمختلف شرائحه، ممثل بالسلطات السياسية الحاكمة والإدارية، والشعب، والأطباء، في سبيل التقيّد وتنفيذ التدابير الوقائية التي نصح به الأطباء من أجل مواجهة

أخطار الأمراض الوبائية، والحفاظ على المجتمع في أحسن حالاته، ووقايته مما قد يفتك به.

- صنّف علماء الأندلس منذ القرن السادس عددًا من المصنّفات التي أولت موضوع الطب الوقائي "حفظ الصحة" اهتمامًا وعنايةً كبيرين.
- سعى أطباء الأندلس إلى نشر ثقافة الوقاية الصحية لدى عموم المجتمع الأندلسي، من خلال عدّة توجيهات ووصايا سهلة وميسّرة.
- يرتكز الطبّ الوقائي الأندلسي على عدة عمليات وقائية ويهتم بها، ولذا فقد حدّد عدد من الأطباء الأندلس أنه يهتمّ بالتحرّز من الأمراض والوقاية منها قبل وقوعها بإصلاح بدن الإنسان، وحفظ صحته، والحركات البدنية والنفسية، وإصلاح المآكل والمشارب.
- يتصدّى الطب العلاجي لعلاج الأمراض التي تتطلّب المداواة بالأغذية والأدوية، وكذلك العمل باليد، الذي يتضمّن ما يكون من جراحات في اللحم.
- انبرى علماء الأندلس خلال حقبة الدراسة إلى تأليف المؤلفات الطبية التي تناولت الأوبئة وسبل الوقاية والعلاج منها، وجاءت كتاباتهم متفرّدة ناضجة تعتمِد على التحليل والتجربة والقياس، وتمزِج بين الطبّين الدوائيّ والوقائيّ.
- اجتهد الأطباء الأندلسيون في شرح دواعي تلك الأوبئة والأمراض ومسبباتها، واستشعار أخطارها، وسبل التدخّل السريع حال حدوثها وتحليلها، ومحاولة تجنّب الأمراض المرتبطة بها، والوقاية منها مستقبلًا، بمنع

انتشارها والتقليل من أضرارها، إضافة إلى رفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات.

- اتخذ الأطباء الأندلسيون ضوابط وتدابير وقائية: دينية وإدارية وبيئية وعمرانية ودوائية، للوقاية والعلاج. وتنوّعت هذه التدابير، التي حفلت بها مصنّفات الأطباء الطبية، حيث كان لتوجيهاتهم المتنوّعة حضورُها البارزُ، وهو ما يدلّ على تفوّق هؤلاء الأطباء وشمولية تلك العلوم التي برعوا فيها، فلم تكن نظرتهم قاصرةً على ما يختصّ بالنواحي الطبية، بل كانت متنوّعة موسوعية تصوّر ذاك النبوغ الحضاري العلمي الذي تمتّع به أولئك الأطباء.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر المخطوطـة:

١- البلياني، أبو عبد الله محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمِل (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، إصلاح النية في المسألة الطاعونية، مخطوط، مكتبة الأزهر الشريف رقم خاص (٢٠٦١)؛ عام (٩٧٦٠٧).

٢- ابن منظور القيسي، محمد بن عبيد الله (ت٨٨٨هـ/١٤٨٣م)، وصية الناصح الأودّ في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد، مخطوط، الرباط، خزانة محمد بن عبد الهادي المنوني، ضمن مجموع من (١- ٢٣)، رقم (١/٤٥).

المصادر المطبوعــة:

١- ابن الأبّار، محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢- الإدريسي، محمد بن محمد الحسيني (ت ق٦/ ١٢م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣- الأزدي، عبد الله بن محمد البلنسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، كتاب الماء، تحقيق: هادي حمودي، عمان: وزارة التراث والثقافة، ط٢، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٤- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم الخزرجي (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دارمكتبة الحياة، د.ت.

٥- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، الجامع الصحيح، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، بيروت: دار قرطبة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٦- البزار، أحمد بن عمرو العتكي (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م)، البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م.
٧- ابن بسّام: علي بن بسّام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: محمد بيضون، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٨- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد الزيني، القاهرة: المكتبة التوفيقية.
٩- ابن بكلارش، يونس بن إسحاق (ت٥٠٠هـ/١١٠٧م)، كتاب المستعيني، تحقيق: محمد العربي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م.
١٠- التنبكتي، أحمد بن أحمد بن أقيت الصنهاجي (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: علي بن عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
١١- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت تقريبًا ٧٢٧هـ/١٣٢٧م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مصر: مؤسسة ناصر للثقافة، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٢- الحنبلي، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٣- ابن خاتمة، أحمد بن علي الأنصاري (ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م)، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق: محمد حسن، تونس: مطبعة الشرق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

١٤- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج٢، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف الطويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الوصول لحفظ الصحة في الفصول، ج١، ٢، تحقيق: محمد العربي، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ع٤، ١٩٨٧م.

١٥- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، بيروت: منشورات الأعلمي للمطبوعات، د.ت.

١٦- ابن خلصون، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ق٦هـ/١٢م)، كتاب الأغذية، تحقيق: سوزان جيغاندي، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٧- ابن الرامي، محمد اللخمي (ت ق٨هـ/ ١٤م)، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق: فريدة سليمان، تونس: مركز النشر الجامعي، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٨- ابن رشد (الحفيد)، محمد بن أحمد بن محمد (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م):

- رسالة حفظ الصحّة، ضمن كتاب رسائل ابن رشد الطبية، تحقيق: جورج شحاته وسعيد زايد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- كتاب الترياق، تحقيق: جورج شحاته وسعيد زايد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الكليات في الطب، تحقيق: محمد الجابري، الرياض: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٩- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٠- الرصاع، محمد بن قاسم الأنصاري (ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م)، والمواق، محمد بن يوسف العبدري (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م)؛ الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق: محمد حسن، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١- ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: كارل بوحسن نورتبرغ، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠١٤م.

٢٢- ابن زهر، عبد الملك بن زهر الإيادي الأندلسي (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م):
- التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: أحمد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- كتاب الأغذية، تحقيق: محمد أمين الضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٣- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط٤، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٤- ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (ت٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، القانون في الطب، تحقيق: محمد الضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٥- الشقوري، محمد بن علي اللخمي (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، كتاب النصيحة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق: محمد حسن، تونس: مطبعة الشرق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
٢٦- ابن صاحب الصلاة: عبد الملك بن محمد الباجي (٥٩٤هـ/١١٩٨م)، المنّ بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
٢٧- ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت أواخر ق٦هـ/ ١٢م)، رسالة في القضاء والحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د.م، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
٢٨- ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحّدي، تحقيق: محمد الكتاني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
٢٩- الغافقي، محمد بن قسوم (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)، المرشد في طب العين، تحقيق: حسن علي، بيروت: معهد الإنماء العربي، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٠- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، مجمل اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٣١- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أعراب، المغرب: مطبعة فضالة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٢- القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر (ت١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٣- ابن قسوم، محمد بن قسوم بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)، المرشد في طب العين، تحقيق: حسن علي، بيروت: معهد الإنماء العربي، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٤- ابن القطان: حسن بن علي المراكشي (ت منتصف ق٧/ ١٣م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود مكي، القاهرة: دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٥- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف الطويل، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٨٧م.

٣٦- الكرجي، محمد بن الحسن (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، أنماط المياه الخفية، حيدرآباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

٣٧- مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: ألفريد البستاني، القاهرة: دار الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٨- المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣٩- المقّري، أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م):

- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، الرباط: صندوق إحياء التراث الإسلامي، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: مريم الطويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٠- النباهي، علي المالقي (ت أواخر ق٨هـ/١٤م)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤١- ابن هشام القرطبي، أبو الوليد هشام بن عبد الله بن هشام (ت٦٠٦هـ/١٢٠٦م)، المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام، تحقيق: سليمان بن عبد الله أبا الخيل، الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٤٢- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد الحجي، المغرب: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

المراجع الحديثة والمعرّبة:

١- البار، علي، العدوى بين الطب وحديث المصطفى، عمان: دار الفتح للدراسات والنشر، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
٢- بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة: دار الثقافة الدينية، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٣- روبرتس، جوتفريد، الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، ترجمة: عبادة كحيلة، القاهرة: المركز القومي للترجمة والنشر، ط١، ٢٠١٧م.
٤- زينل، نهاد، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوربا- القرون الوسطى، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
٥- السرو: محمد، النظر والتجريب في الطب الأندلسي بين ابن رشد وابن زهر، الرباط: دار الأمان، ط٢، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦م.
٦- السقا، محمد، العلاج بالماء، الرياض: دار الألوكة للنشر، ط١، ٢٠١٣م.
٧- شربل، كمال: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، بيروت:دار الجبل، ط١٤١٨،١هـ/١٩٩٨م.
٨- الطاهري، أحمد، البناء والعمران الحضري بإشبيلية العبادية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٩- عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحّدين، القاهرة: مكتبة الأسرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
١٠- الفنجري، أحمد، الطبّ الوقائي في الإسلام، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١١- كنعان، أحمد محمد، الموسوعة الطبية الفقهية، بيروت: دار النفائس، ط٣. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
١٢- النبراوي، نجلاء، ذوو الاحتياجات الخاصة بالمغرب والأندلس (ق٤-٩هـ/ ١٠-١٥م)، نشر موقع الألوكة الإلكتروني، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
١٣- مؤنس: حسين:
- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- رحلة الأندلس، القاهرة: الشركة العربية للطباعة، ط١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

qAŶmħ AlmSAdr wAlmrAjç:
AlmSAdr AlmxTwT—ħ:
1- AlblyAny ،Âbw çbdAllh mHmd bn mHmd bn jçfr bn mŝtml (t764h١٣٦٣/-m) ،ĂSlAH Alnyħ fy AlmsÂlħ AlTAçwnyħ ،mxTwT ، mktbħ AlÂzhr Alŝryf rqm xAS (2061)؛ çAm (97607).
2- Abn mnĎwr Alqysy ،mHmd bn çbydAllh (t888h/1483m) ،wSyħ AlnASH AlÂwd˝fy AltHfĎ mn AlmrD AlwAfd ĂðA wfd ،mxTwT ، AlrbAT ،xzAnħ mHmd bn çbdAlhAdy Almnwny ،Dmn mjmwç mn (1- 23) ،rqm (45/1).

AlmSAdr AlmTbwç—ħ:
1- Abn AlÂbˇAr ،mHmd bn çbdAllh AlqDAçy (t658h١٢٦٠/-m).
- Altkmlħ lktAb AlSlħ ،tHqyq: jlAl AlÂsywTy ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T1١٤٢٩ ،h٢٠٠٨ /-m.
- Almçjm fy ÂSHAb AlqADy Âby çly AlSdfy ،AlqAhrħ: AlhyŶħ AlmSryħ llktAb١٤٢٩ ،h/2008m.
2- AlĂdrysy ،mHmd bn mHmd AlHsyny (t q6/ 12m) ،nzhħ Almŝtaq fy AxtrAq AlĀfAq ،AlqAhrħ: mktbħ Alθqafħ Aldynyħ ،T1١٤٢٢ ،h /-٢٠٠٢m.
3- AlÂzdy ،çbdAllh bn mHmd Alblnsy (t 456h١٠٦٤/-m) ،ktAb AlmA' ، tHqyq: hAdy Hmwdy ،çmAn: wzArħ AltrAθ wAlθqAfħ ،T2١٤٣٦ ،h /-٢٠١٥m.
4- Abn Âby ÂSybçħ ،ÂHmd bn AlqAsm Alxzrjy (t668h/1270m) ،çywn AlÂnbA' fy TbqAt AlÂTbA' ،tHqyq: nzAr rDA ،byrwt: dArmktbħ AlHyAħ ،d.t.
5- AlbxAry ،Âbw çbdAllh mHmd bn ĂsmAçyl (t256h٨٧٠/-m) ،AljAmç AlSHyH ،tHqyq: nĎr mHmd AlfAryAby ،byrwt: dAr qrTbħ llTbAçħ wAlnŝr ،T1١٤٣٣ ،h٢٠١٢ /-m.
6- AlbzAr ،ÂHmd bn çmrw Alçtky (t292h٩٠٥/-m) ،AlbHr AlzxAr ، tHqyq: mHfwĎ AlrHmn zyn Allh wĀxryn ،Almdynħ Almnwrħ: mktbħ Alçlwm wAlHkm ،T1١٤١٨ ،h١٩٨٨ /-m.
7- Abn bsĂm: çly bn bsĂm Alŝntryny (t542h١١٤٧/-m) ،Alðxyrħ fy mHAsn Âhl Aljzyrħ ،tHqyq: mHmd byDwn ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T1١٤١٩ ،h١٩٩٨ /-m.
8- Abn bTwTħ ،mHm-d bn çbdAllh AlTnjy (t779h/1377m) ،tHfħ AlnĎAr fy γrAŶb AlÂmSAr wçjAŶb AlÂsfAr ،tHqyq: mHm-d Alzyny ،AlqAhrħ: Almktbħ Altwfyqyħ.
9- Abn bklArŝ ،ywns bn ĂsHAq (t500h١١٠٧/-m) ،ktAb Almstçyny ، tHqyq: mHm-d Alçrby ،byrwt: dAr Alγrb AlĂslAmy ،T1١٩٩٠ ،m.
10- Altnbkty ،ÂHmd bn ÂHmd bn Âqyt AlSnhAjy (t1036h/1627m) ، nyl AlAbthAj btTryz AldybAj ،tHqyq: çly bn çmr ،AlqAhrħ: mktbħ AlθqAfħ Aldynyħ ،T1١٤٢٥ ،h٢٠٠٤ /-m.

11- AlHmyry ،Âbw çbdAllh mHmd bn çbdAlmnçm (t tqrybًA 727h/1327m-) ،AlrwD AlmçTAr fy xbr AlÂqTAr ،tHqyq: ĂHsAn çbAs ،mSr: mŵssh nASr llθqAfh ،T3١٤٠٠ ،h١٩٨٠ /-m.

12- AlHnbly ،ŝhAb Aldyn çbdAlHy bn ÂHmd (t1089h١٦٧٨/-m) ، ŝðrAt Alðhb fy ÂxbAr mn ðhb ،tHqyq: mSTfŶ çTA ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyh ،T1١٤١٩ ،h١٩٩٨ /-m.

13- Abn xAtmh ،ÂHmd bn çly AlÂnSAry (t770h١٣٦٩/-m) ،tHSyl γrD AlqASd fy tfSyl AlmrD AlwAfd ،Dmn ktAb θlAθ rsAŶl Ândlsyh fy AlTAçwn AljArf ،tHqyq: mHmd Hsn ،twns: mTbçh Alŝrq ،T1١٤٣٤ ،h٢٠١٣ /-m.

14- Abn AlxTyb ،lsAn Aldyn mHm-d bn çbdAllh (t776h١٣٧٤/-m):

- ÂçmAl AlÂçlAm fymn bwyç qbl AlAHtlAm mn mlwk AlĂslAm ،j2 ، tHqyq: syd ksrwy Hsn ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyh ،T1١٤٢٤ ،h /-٢٠٠٣m.
- AlĂHATh fy ÂxbAr γrnATh ،tHqyq: ywsf AlTwyl ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyh ،T1١٤٢٤ ،h٢٠٠٣ /-m.
- AlwSwl lHfĎ AlSHh fy AlfSwl ،j1 ،٢ ،tHqyq: mHm-d Alçrby ، AlrbAT: ÂkAdymyh Almmlkh Almγrbyh ،ç4١٩٨٧ ،m.

15- Abn xldwn ،çbdAlrHmn bn mHmd (t808h/1405m) ،mqdmh Abn xldwn ،byrwt: mnŝwrAt AlÂçlmy llmTbwçAt ،d.t.

16- Abn xlSwn ،Âbw çbdAllh mHmd bn ywsf (t q6h١٢/-m) ،ktAb AlÂγðyh ،tHqyq: swzAn jyγAndy ،dmŝq: Almçhd Alfrnsy lldrAsAt Alçrbyh١٤١٧ ،h١٩٩٦ /-m.

17- Abn AlrAmy ،mHmd Allxmy (t q8h/ 14m) ،AlĂçlAn bÂHkAm AlbnyAn ،tHqyq: frydh slymAn ،twns: mrkz Alnŝr AljAmçy ،T1 ، ١٤١٩h١٩٩٩ /-m.

18- Abn rŝd (AlHfyd) ،mHmd bn ÂHmd bn mHmd (t 595h١١٩٩ /-m):

- rsAlh HfĎ AlSHh ،Dmn ktAb rsAŶl Abn rŝd AlTbyh ،tHqyq: jwrj ŝHAth wsçyd zAyd ،AlqAhrh: AlhyŶh AlmSryh AlçAmh llktAb ، ١٤٠٧h١٩٨٧ /-m.
- ktAb AltryAq ،tHqyq: jwrj ŝHAth wsçyd zAyd ،AlqAhrh: AlhyŶh AlmSryh AlçAmh llktAb١٤٠٧ ،h١٩٨٧ /-m.
- AlklyAt fy AlTb ،tHqyq: mHmd AljAbry ،AlryAD: mrkz drAsAt AlwHdh Alçrbyh١٤٢٩ ،h٢٠٠٨ /-m.

19- Abn rŝd ،Âbw Alwlyd mHmd bn ÂHmd (t 520h/1126m) ،msAŶl Âby Alwlyd Abn rŝd ،tHqyq: mHmd AlHbyb AltjkAny ،byrwt: dAr AlĀfAq Aljdydh ،T2١٤١٤ ،h١٩٩٣ /-m.

20- AlrSAç ،mHmd bn qAsm AlÂnSAry (t894h/1489m-) ، wAlmwAq ،mHmd bn ywsf Alçbdry (t897h/1492m)؛ AlÂjwbh Altwnsyh çlŶ AlÂsŶlh AlγrnATyh ،tHqyq: mHmd Hsn ،byrwt: dAr AlmdAr AlĂslAmy ،T1١٤٢٧ ،h٢٠٠٧ /-m.

21- Abn Âby zrç ،çly bn çbdAllh AlfAsy(t726h/ 1326m) ،AlÂnys AlmTrb brwD AlqrTAs fy ÂxbAr mlwk Almγrb wtAryx mdynħ fAs ، tHqyq: kArl bwHsn nwrtbrγ ،AlqAhrħ: mktbħ AlθqAfħ Aldynyħ ،T1 ، ٢٠١٤m.
22- Abn zhr ،çbdAlmlk bn zhr AlĂyAdy AlÂndlsy (t557h١١٦٢/-m):
- Altysyr fy AlmdAwAħ wAltdbyr ،tHqyq: ÂHmd Almzydy ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T1١٤٢٨ ،h٢٠٠٧ /-m.
- ktAb AlÂγðyħ ،tHqyq: mHm-d Âmyn AlDnAwy ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T2١٤٢٢ ،h٢٠٠٢ /-m.
23- Abn sçyd ،Âbw AlHsn çly bn mwsŶ AlγrnATy (t685h١٢٨٦/-m) ، Almγrb fy HlŶ Almγrb ،tHqyq: ŝwqy Dyf ،AlqAhrħ: dAr AlmçArf ، T4١٤١٣ ،h١٩٩٣ /-m.
24- Abn synA ،Âbw çly AlHsyn bn çly (t428h١٠٣٧/-m) ،AlqAnwn fy AlTb ،tHqyq: mHmd AlDnAwy ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T1 ، ١٤٢٠h١٩٩٩ /-m.
25- Alŝqwry ،mHmd bn çly Allxmy (t776h١٣٧٤/-m) ،ktAb AlnSyHħ ، Dmn ktAb θlAθ rsAŶl Ândlsyħ fy AlTAçwn AljArf ،tHqyq: mHmd Hsn ،twns: mTbçħ Alŝrq ،T1١٤٣٤ ،h٢٠١٣ /-m.
26- Abn SAHb AlSlAħ: çbdAlmlk bn mHmd AlbAjy (594h/1198m) ، Almn̆ bAlĂmAmħ ،tHqyq: çbdAlhAdy AltAzy ،byrwt: dAr Alγrb AlĂslAmy ،T3١٤٠٨ ،h١٩٨٧ /-m.
27- Abn çbdwn ،mHmd bn ÂHmd Altjyby (t ÂwAxr q6h١٢ /-m) ، rsAlħ fy AlqDA' wAlHsbħ ،Dmn ktAb θlAθ rsAŶl Ândlsyħ fy ĀdAb AlHsbħ wAlmHtsb ،tHqyq: lyfy brwfnsAl ،AlqAhrħ: mTbçħ Almçhd Alçlmy Alfrnsy llĀθAr Alŝrqyħ ،d.m١٣٧٤ ،h١٩٥٥ /-m.
28- Abn çðAry ،ÂHmd bn mHm-d AlmrAkŝy (t bçd 712h/ 1312m) ، AlbyAn Almγrb fy ÂxbAr AlÂndls wAlmγrb ،Alqsm AlmwĤdy ، tHqyq: mHm-d AlktAny ،byrwt: dAr Alγrb AlĂslAmy ،T1١٤٠٦ ،h /-١٩٨٥m.
29- AlγAfqy ،mHmd bn qswm (t560h١١٦٥ /-m) ،Almrŝd fy Tb Alçyn ،tHqyq: Hsn çly ،byrwt: mçhd AlĂnmA' Alçrby ،T1١٤٠٧ ،h /-١٩٨٧m.
30- Abn fArs ،ÂHmd bn fArs bn zkryA Alqzwyny (t395h/1005m) ، mjml Allγħ ،AlmHqq: çbdAlslAm mHmd hArwn (dmŝq: dAr Alfkr ، ١٣٩٩h١٩٧٩ /–m.
31- AlqADy çyAD ،Âbw AlfDl çyAD bn mwsŶ AlyHSby (t541h /-١١٤٦m) ،trtyb AlmdArk wtqryb AlmsAlk ،tHqyq: sçyd ÂçrAb ، Almγrb: mTbçħ fDAlħ ،T1١٤٠٢ ،h١٩٩٢ /-m.
32- AlqrAfy ،bdr Aldyn mHmd bn yHyŶ bn çmr (t1008h١٥٩٩ /-m) ، twŝyH AldybAj wHlyħ AlAbthAj ،tHqyq: çly çmr ،AlqAhrħ: mktbħ AlθqAfħ Aldynyħ ،T1١٤٢٥ ،h٢٠٠٤ /-m.

33- Abn qswm ،mHmd bn qswm bn çbdAllh (t560h/ 1165m) ،Almrŝd fy Tb Alçyn ،tHqyq: Hsn çly ،byrwt: mçhd AlĂnmA' Alçrby ،T1 ، ١٤٠٧h١٩٨٧ /-m.
34- Abn AlqTAn: Hsn bn çly AlmrAkŝy (t mntSf q7/ 13m) ،nĎm AljmAn ltrtyb mA slf mn ÂxbAr AlzmAn ،tHqyq: mHmwd mky ، AlqAhrħ: dAr Alγrb AlĂslAmy ،T2١٤١٠ ،h١٩٩٠ /-m.
35- Alqlqŝndy ،Âbw AlçbAs ÂHmd bn çly (t821h١٤١٨ /-m) ،SbH AlÂçŝŶ fy SnAçħ AlĂnŝA' ،tHqyq: ywsf AlTwyl ،byrwt: dAr Alfkr ، T1١٩٨٧ ،m.
36- Alkrjy ،mHmd bn AlHsn (t429h١٠٣٨ /-m) ،ÂnmAT AlmyAh Alxfyħ ،HydrĀbAd: mTbçħ dAŶrħ AlmçArf Alçθmanyħ ،T1 ، ١٣٥٩h١٩٤٠ /-m.
37- mjhwl ،nbðħ AlçSr fy ÂxbAr mlwk bny nSr ،tHqyq: Âlfryd AlbstAny ،AlqAhrħ: dAr Alθqafħ Aldynyħ ،T1١٤٢٣ ،h٢٠٠٢ /-m.
38- AlmrAkŝy ،mHmd bn mHmd bn çbdAlmlk (t703h١٣٠٤ /-m) ، Alðyl wAltkmlħ lktAby AlmwSwl wAlSlħ ،tHqyq: ĂHsAn çbAs wĀxryn ،twns: dAr Alγrb AlĂslAmy ،T1١٤٣٣ ،h٢٠١٢ /-m.
39- Almqřy ،ÂHmd bn mHmd AltlmsAny (t1041h/1631m):
- ÂzhAr AlryAD fy ÂxbAr çyAD ،tHqyq: mSTfŶ AlsqA wĀxryn ، AlrbAT: Sndwq ĂHyA' AltrAθ AlĂslAmy١٣٥٨ ،h١٩٣٩ /-m.
- nfH AlTyb mn γSn AlÂndls AlrTyb wðkr wzyrhA lsAn Aldyn Abn AlxTyb ،tHqyq: mrym AlTwyl ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T1 ، ١٤١٥h١٩٩٥ /-m.
40- AlnbAhy ،çly AlmAlqy (t ÂwAxr q8h١٤/-m) ،Almrqbħ AlçlyA fymn ystHq AlqDA' wAlftyA ،tHqyq: ljnħ ĂHyA' AltrAθ ،byrwt: dAr AlĀfAq Aljdydħ ،T1١٤٠٠ ،h١٩٨٠ /-m.
41- Abn hŝAm AlqrTby ،Âbw Alwlyd hŝAm bn çbdAllh bn hŝAm (t606h/1206m-) ،Almfyd llHkAm fymA yçrD lhm mn nwAzl AlÂHkAm ،tHqyq: slymAn bn çbdAllh ÂbA Alxyl ،AlryAD: dAr AlçASmħ ،T1١٤٣٣ ،h٢٠١٢ /-m.
42- Alwnŝrysy ،ÂHmd bn yHyŶ (t914h١٥٠٨ /-m) ،AlmçyAr Almçrb wAljAmç Almγrb çn ftAwŶ Âhl Ăfryqyħ wAlÂndls wAlmγrb ، tHqyq: mHmd AlHjy ،Almγrb: dAr Alγrb AlĂslAmy ،T1١٤٠١ ،h /-١٩٨١m.

AlmrAj–ç AlHdyθħ wAlmçrbħ:
1- AlbAr ،çly ،AlçdwŶ byn AlTb wHdyθ AlmSTfŶ ،çmAn: dAr AlftH lldrAsAt wAlnŝr ،T1١٤٣٢ ،h٢٠١١ /-m.
2- bAlnθyA ،Ānxl jnθAlθ ،tAryx Alfkr AlÂndlsy ،trjmħ: Hsyn mŵns ، AlqAhrħ: dAr AlθqAfħ Aldynyħ ،T2١٤٢٩ ،h٢٠٠٨ /-m.

3- rwbrts ،jwtfryd ،Almwt AlÂswd jAŶHħ Tbyçyħ wbŝryħ fy çAlm AlçSwr AlwsTŶ ،trjmħ: çbAdħ kHylħ ،AlqAhrħ: Almrkz Alqwmy lltrjmħ wAlnŝr ،T1٢٠١٧ ،m.
4- zynl ،nhAd ،AlĂnjAzAt Alçlmyħ llÂTbA' fy AlÂndls wÂθrhA çlŶ AltTwr AlHDAry fy ÂwrbA- Alqrwn AlwsTŶ ،byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T1١٤٣٤ ،h٢٠١٣ /-m.
5- Alsrw: mHmd ،AlnĎr wAltjryb fy AlTb AlÂndlsy byn Abn rŝd wAbn zhr ،AlrbAT: dAr AlÂmAn ،T١٤٣٧ ،٢ h٢٠١٦ / -m.
6- AlsqA ،mHmd ،AlçlAj bAlmA' ،AlryAD: dAr AlÂlwkħ llnŝr ،T1 ، ٢٠١٣m.
7- ŝrbl ،kmAl: Almwswçħ AljγrAfyħ llwTn Alçrby ،byrwt:dAr Aljbl ، T1،1418h/1998m.
8- AlTAhry ،ÂHmd ،AlbnA' wAlçmrAn AlHDry bĂŝbylyħ AlçbAdyħ ، byrwt: dAr Alktb Alçlmyħ ،T1١٤٢٧ ،h٢٠٠٦ /-m.
9- çnAn ،mHm-d ،dwlħ AlĂslAm fy AlÂndls çSr AlmwHďyn ،AlqAhrħ: mktbħ AlÂsrħ ،T1١٤٢٣ ،h٢٠٠٣ /-m.
10- Alfnjry ،ÂHmd ،AlTb̆ AlwqAŶy fy AlĂslAm ،AlqAhrħ: AlhyŶħ AlmSryħ AlçAmħ llktAb ،T3 1411h١٩٩١ /-m.
11- knçAn ،ÂHmd mHm-d ،Almwswçħ AlTbyħ Alfqhyħ ،byrwt: dAr AlnfAŶs ،T3. 1431h٢٠١٠ /-m.
12- AlnbrAwy ،njlA' ،ðww AlAHtyAjAt AlxASħ bAlmγrb wAlÂndls (q4-9h١٥-١٠ /-m) ،nŝr mwqç AlÂlwkħ AlĂlktrwny ، ١٤٣٦h٢٠١٥ /-m.
13- mŵns: Hsyn:
- Alθγr AlÂçlŶ AlÂndlsy fy çSr AlmrAbTyn ،AlqAhrħ: mktbħ AlθqAfħ Aldynyħ ،T1. 1413h/ 1992m.
- rHlħ AlÂndls ،AlqAhrħ: Alŝrkħ Alçrbyħ llTbAçħ ،T1١٣٨٣ ،h/ 1963m.

***